مَنْ يَرى دُموعَ الحزانى ولا تَضطَرِبُ أحشاؤه؟ ومن يَرى حَبيبًا يَرقصُ في نَعشٍ بَينَ الزَّغرداتِ والدُّموعِ دونَ أَنْ تُشارِكَ دُموعُهُ أَحزانَ الباكين؟ أَلَمٌ وحُزنٌ يَعْتَريانِ الإنسانَ حينَ يأتي الموتُ ليخطفَ أحدَ أَحبّائه.

الوقوفُ مَوقفَ المُتَفَرِّجِ، دونَ أن تَحملَ كَلمَةَ رَجاءٍ داءٌ أَصبَحَ يَنالُ مِنْ أَغلَبِ المُعَزّينَ، أمامَ ناظِرَيكَ الذينَ يَحملونَ ما يَحملونَ مِنْ أَفكارٍ تُسيءُ إلى البِشارَةِ المَسيحيَّة. والبَعضُ الآخرُ يَحملُ السُّمومَ بَدَلَ الدَّواء.

في أَجواءٍ كَهذه تَكثُرُ التَّساؤلاتُ، والكُلُّ يَبحَثُ عَن أَجوبَة، عَلَّهُ يُشبِعُ جُوعَهُ إلى معنى الحياةِ والموت، وإلى فَهْمِ إرادَةِ الخالقِ لِكُلِّ ما يَحصَل، أو يَروي ظَمأَهُ بِكَلِمَةٍ تأتي مِمَّنْ يَحملُ التَّعليمَ الصَّحيحَ وَيَفْهَمُ مَعنى الكَونِ وَالوُجُود، فَيَحْمِلُ، تاليًا، العَزاءَ الحقيقيّ.

المسيحيُّ يَعي أَنَّ الموتَ، في أَغلَبِ الأحيان، يأتي دونَ رَقيبٍ أو استئذانٍ لِيَنتَزِعَ إحدى البَراعم، تاركاً وراءَهُ الجُرحَ الآتي مِنْ ذاكَ السَّيفِ الماضي الذي يَجوزُ في أَحشاءِ المُحبّين؛ ويُدرِكُ أَنَّ "أَيّامَ الإنسانِ ثمانُونَ سَنَةً وَبالقُوَّةِ تسعونَ وكُلُّها وَجَعٌ وأَلَمٌ" وبنَفسِ الوَقتِ لا يَغيبُ مُطلَقاً عَن كِيانِه أَنَّ المسيحَ قد "حَطّم أبوابَ الجَحيمِ ورَضَّ أَمحالَهُ"، وَأَنَّ الحياةَ العَتيدَةَ ليسَت امْتِداداً لهذه الّتي نَحيا، وإنَّما تَتَعدّاها إلى فَرَحٍ وتَرَقُّبٍ لِما "لَمْ تَرَهُ عَينٌ ولَمْ تَسمَعْ بِهِ أُذنُ إنسانٍ ما أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذينَ يُحبّونَهُ".

لِسانُ حالِ المؤمنُ، على حدِّ قَولِ سيادةِ المطران جورج خضر، أَنَّ المسيحَ يسوعَ قد جاءَ مِنْ أَجلِ شَيءٍ أَعظَمَ من الدِّياناتِ كُلِّها وأَعظَمَ مِنْ كُلِّ فَلسَفَةٍ وأَعظَمَ مِنَ الكَونِ، لَقد جاءَ لِيَقولَ إِنَّ فيهِ هوَ ، يَسُوعَ النَّاصريَّ، "قُـــهِرَ المَوتُ وَالشَّرُّ وانعَتَقَ الكَونُ بأَسرِه".

رَغبَتي كانَت أَنْ أَسعَى، قَدْرَ الإمكان، إلى أَنْ أَملأَ فَراغاً، بِمَضمونٍ يَحملُ معنى الرَّجاءَ الذي فينا، والذي يَقَعُ على عاتقنا نَحْنُ الرُّعاةَ قَبْلَ غَيرِنا: أَنْ نَكُونَ حامِلينَ لِهذا الرَّجاءِ بالمَسيحِ النّاهضِ فينا، وَالّذي أَقامَنا بنِعْمَتِه وَيُقيمُنا على الدَّوامِ مِنْ بَراثِنِ الشِّرير، لِنُعلِنَ للخَليقَةِ أَجمَعَ أَنَّ "المسيحَ قامَ مِنْ بَينِ الأموات، وَوَطِئَ المَوتَ بالمَوت، وَمَنَحَ الحَياةَ لِلَّذينَ في القُبور"؛ وَأَنَّ القيامَةَ المُفَرِّحَةَ، والتَّمَتُّعَ بِما أُعِدَّ لَنا مِنَ الجَوائزِ والأَكاليلِ السَّماويَةِ هي نَصيبٌ حَقّ مَجّانيٌّ لِكُلِّ مَنْ حَمَلَ صَليبَ المَسيحِ وجَاهَدَ الجِهادَ الحَسَنَ وأَتَمَّ السَّعيَ القويمِ في طَريقِ القَداسَة .

أسئلَةٌ تقفُ وجهًا لوجهٍ أَمامَ كُلِّ امْرِئ: هَل هناكَ حياةٌ بَعدَ الموت؟ ماذا يحصلُ للجَسَدِ الإنسانيّ هذا الذي رافَقَنا طِوالَ حَياتِنا والذي نَفخَرُ بجمالِه أو كُنّا نَستَحْيي بِه؟ ماذا يحصَلُ لأرواحِ الرّاقدين؟ ما الفردوسُ وما الجَحيمُ؟ هَلِ الموتُ هو نِهايَتي وَنِهايَةُ الوُجُودِ الإنسانيّ؟

عَبرَ كُلِّ العصورِ والحقباتِ التاريخيَّة كان يُطرَحُ هذا السُّؤال "الرَّجُلُ يَموتُ ويَبلى، الإنسانُ يسلمُ الرُّوحَ فأينَ هو، إنْ ماتَ رَجُلٌ أَفَيَحيا؟"(أي ١٤:١٠و ١٤). وَكُلُّ أنواعِ الإجاباتِ واردَةٌ، وكُلُّ واحدٍ يتأبَّطُ جوابَهُ حَسبَ قناعَتِه وحَسَبَ ديانَتِه:

- بَعضٌ يَرفُضُ ببساطةٍ وجودَ "الحياةِ بَعدَ الموت" . والأَلَمُ يأتي حينَ ترى مَنْ يُسَمَّونَ بـــ "أَبناءِ الإيمان" يُضاهونَ الصَّدوقيينَ بنُكرانِهم للقيامَة، مُشَبِّهينَ الإنسانَ بالحيواناتِ الفانيَة.

- آخرونَ، كالدِّياناتِ الشرقيَّةِ القديمَةِ، وحَركاتِ العَصرِ الجَديد "The New Age Movement" الّتي بَدَأَتْ تَتَسَرَّبُ إلى بلادَنا، تُنادي وتُعَلِّمُ بالتَقَمُّصِ، في حينِ أنَّ البَعضَ، مُسْتَنِدينَ إلى الكِتابِ المُقَدَّس، يُنادُونُ بزَوالِ الأشرارِ وَكَونِ المكافأةِ للصَّالحِين.

دِراسَتي المُتواضِعةِ هذه تَهدفُ إلى إظهارِ حَقيقَةِ هذا المخلوقِ البَشَريّ المُمَيَّز، المخلوقِ على صورةِ اللهِ ومِثالِه، الذي نَسمَعُ الخالِقَ يناديهِ بعدَ أنْ يتوب: "ثِقْ يا بُنَيَّ" (مت ٩:١-٨).

الحقيقةُ الأولى "ماهيَّةُ الإنسان" تُرشِدُنا إلى الحقائقِ الأخرى وإلى موضوعِنا "الحياة بعدَ الموت"، هذا الموضوعِ الغامضِ والمُستَتِر، الّذي يَحملُ الإنسانَ على التامُّلِ بصغَرِ إدراكِه وَبمَدى مَحْدُوديَّتِه إزاءَ عَظَمَةِ المَحَبَّةِ الإلهيَّةِ الّتي تَجعَلُ الإنسانَ لاَ سَيِّداً على سائرِ الخلائقِ وَحَسْب، بَلْ وأيضاً "شريكاً للطَبيعَةِ الإلهيَّة"(٢بط ١:٣).

سقوطٌ اختياريٌ أدْخَلَ عُنصُراً غريباً على الخليقةِ كُلِّها، أَدخَلَ "الفسادَ والتقهقُرَ والموتَ"، حتّى أصبحَت الطبيعةُ تَنُوءُ تَحْتَ سُلطةِ آخرِ عَدُوٍّ يُبْطَلُ. حتّى هذا السُّقوطُ للإنسانِ احتُضِنَ حُبًّا منَ الثّالوثِ الفائقِ الجَوهَر. فهل يَبقى سَيِّدُ العالمِ مُتَمَلِّكاً لنفوسِ أبناءِ اللهِ في مَملَكَتِه في جَحيمِه؟ أَمْ أنَّ وعودَ الرَّبِّ لأحبائِه تُحَطِّمُ كُلَّ القيود، مِنْ أجلِ تحريرِ مَنْ خُلِقَ كُلُّ شيءٍ لأجلِه؟ ما حالَةُ النفوسِ حينَ تُسلَخُ عَنِ الأجساد؟وهَلْ مِنْ أمكنةٍ مُحَدَّدَةٍ يقطنونَها ؟ وهَلْ الأبرارُ والأشرار يَتَساوونَ في المَصيرِ والنَّتائجِ ؟ وهَلْ مَنْ نَراهُم قابعينَ دونَ جهادٍ روحيٍّ أو سَعيٍ لنَيلِ الجوائزِ لكنَّهم يَتَّسمونَ بالبَساطَةِ، كأَغلَبِ النّاسِ، يَنالونَ جوائزَ الأبرارِ أو يَستأهلونَ "النّارَ التي لا تُطفأ والدّودُ الذي لا ينام"؟ أمّ أَنَّ لأمثالِهم عقوبَةً مؤقَتَةً يخضعونَ لها لتَكونَ جوازَ سَفَرٍ إلى الفردوس؟ أَمْ أنَّ المَقولَةَ "إنَّ المائتينَ جميعًا ينالونَ الغُفرانَ بعدَ الموت"[1] هي حقيقةٌ أَصيلَةٌ أو مُشَوِّهةٌ للتُراثِ المَسيحيّ؟

بالنِّهاية ، ما الدَّلالاتُ والتّأكيداتُ على حَقيقةِ وجودِ حياةٍ ما وراءَ أخشابِ النُّعوشِ وجُدرانِ القُبور. أسرارٌ لَمْ يُدرِكْها إلاّ مَنْ استَنارَ بنورِ الرَّبِّ، يُجيبُنا عنها المُتَألِّهونَ الَّذينَ صادقوا الملائكَةَ وعايَنُوا بعضَ أرواحِ الرّاقدينَ. ونَحنُ، كأبناءِ الإيمان، نَتَلَقَّفُ منهُم تلك الجواهرَ النّفيسَةَ الّتي تَبعثُ في نفوسِنا الرَّهبَةَ والوَرَعَ لنَذرِفَ دموعَ توبَةٍ تَرُدُّنا إلى الأحضانِ الأبويَّةِ فنتّكئ في الأحضانِ الإلهيَّةِ بيَسوعَ المسيحِ رَبِّنا الذي له كُلُّ شُكرٍ ومَجدٍ وإكرامٍ وسُجود.

الرَّبُّ يسوعُ هو الإله المُتَجَسِّد الذي وَجهُهُ أجمَلَ مِنْ كُلِّ جَمال، والّذي بنُورِه فقط يَستطيعُ القلبُ البَشَريُّ أنَ يتغَلّبَ على أهوائِه ليتقدَّسَ ويَتألّهَ ليُصبحَ بنعمةِ اللهِ مِنْ " أبناءِ الملكوتِ السَّماويّ " .

---

[1] مختارات مِنْ أدب آباء الكنيسة، باسيليوس الكبير– سمعان اللاهوتي ، ترجَمة البطريركَ الياس الرّابع معوَّض، صفحة ٥٩.

❖ مَن هو الإنسان ؟

السُّؤالُ الأولُ الذي لا بدَّ أن يُطرحَ هو "مَن هو الإنسان؟" لأنَّهُ منْ خلالِ فَهمنا لطَبيعَة هذا الكائنِ البَشَريِّ نَستَطيعُ أَنْ نَتلَمَّسَ فيما بَعدُ كُلَّ ما يَتَعَلَّقَ بِهِ مِنْ أُمورٍ، وما يَحصَلُ لَهُ، فيُصبِحَ بإمكانِ القارِىء أَنْ يُدرِكَ ماهِيَّةَ الوجودِ الإنسانيّ ومعناهُ وهدفَهُ .

بالطَّبعِ، على الرُّغمِ منْ تَشـــابُهِ الإنســـانِ في الشَّـــكْلِ مع بعضِ الحيوانات، إلاّ أَنَّه مُختَلفٌ تَماماً عَن كُلِّ المخلوقات. فالإنســـانُ هو " المَخلوقُ الوحيدُ الذي ليسَ مِن مَخلوقٍ على الأرضِ مِثْلهُ، فهو، دونَ ســـواهُ من الخلائقِ، يَستَطيعُ أَنْ يَكونَ إلهاً "، على ما يقولُ القدّيسُ غريغوريوسُ اللاهوتي[2]. إنّ الإنسان، كالطَّبيعة، مَوجودٌ بفعلِ إرادةِ الله، وبدونِها ليسَ لهُ مِن وجود: "تَنـــزِعُ أَرواحَهُم فيَفْنَون وإلى تُرابِهِم يَرجِعون، تُرسِلُ روحَك فيُخلقونَ وتُجدِّد وَجهَ الأرضِ" (مز١٠٣: ٢٩و٣٠)[3].

الخليقةُ كُلُّها ، ما يُرى وما لا يُرى، هي نِتاجُ فَيْضِ الحُبِّ الإلهيّ لأَقانيمِ الثّالوثِ القُدّوس، هي التَّجلّي الأوَّلُ للمَحَبَّةِ الإلهيَّةِ خارِجِ الله. أمّا المحوَرُ الأســـاسيُّ للخَليقَةِ فهو مَن خُلِقَ حـــاملاً في كِيانِهِ صـــورَةَ الخـــالِقِ ومثالَهُ، أَي "الإنسان".

يَقولُ القدّيسُ يوحنّا الذَّهبيّ الفم حَولَ هذا الموضوع: "إنَّ الخَلْقَ والإنسانَ هما عَمَلُ الحنانِ الإلهيّ، كان يجب أَنْ يكونَ لهُ كائنٌ يَرى نورَهُ، ويكون شاهداً لمجدِه، ويَتَمَتَّعَ بصَلاحِه... أَحَبَّ أَنْ يكونَ هناكَ أَحَدٌ يُشارِكَهُ في غِناهُ الذي لا يُحدُّ ويَستَفيدَ من هذه الخيرات"[4].

الإنسان خُلِقَ كاملاً. ولكن هذا لا يَعني أَنَّ حالتَهُ الأولى تَتَطابقُ مع غايَتِهِ الأخيرَةِ ، إنَّهُ أُمرَ أَنْ يكون إلهاً، على ما يقول القدّيسُ باسيليوس الكبير، دونَ أَنْ يكون هذا الأمرُ إكراهاً[5] .

الإنسانُ، على عَكسِ سائرِ المخلوقاتِ الَّتي على الأرض، حُرٌّ بالكُلِّيَة[6]. إنَّهُ حُرٌّ لدَرَجَة أَنَّهُ يَستَطيعُ أَنْ يَقولَ لله نَعَمْ ويمكن أَنْ يقولَ لا، فالإنسانُ لم يُقَيَّدْ بنواميسَ جامدةٍ إلى إرادَةِ الخالق.

النُّجومُ في السَّماءِ تَسيرُ ضمنَ مَدارٍ مُحَدَّد، والحيواناتُ تَخضَعُ للغَرائزِ الَّتي تُسَيِّرها، ولكنّ للإنسانِ مَلكَتَهُ الفَريدَةَ والمُخيفَةَ الَّتي تؤهِّلُهُ لرَفضِ الطَّاعة لخالقِه؛ ذلك أنَّ الله لا يُريدُ عَبيداً وإنَّما أَبناء[7]، إنَّهُ لا يُريدُ دُمًى يُحرِّكُها كما يَشاءُ بَلْ كائناتٍ تُشارِكُهُ الغِبْطَةَ الإلهيَّة والفَرَحَ الإلهيّ.

---

[2] جاورجيوس،(الأرشمندريت): غاية الحياة هي التألّه،تعريب الأب منيف حمصي، صفحة ١٢.

[3] بندلي ،كوستي : كيف نفهم اليوم قصّة آدم وحواء ؟ ، صفحة ٢٤.

[4] النّيصَصي، القدّيس غريغوريوس : العقيدة المسيحية وأسرار الإيمان، ترجمة واقتباس: د. نبيل داود ،صفحة ٣٢.

[5] لوسكي، فلاديمير : بحث في اللاهوت الصوفي لكنيسة الشرق، تعريب نقولا أبو مراد، صفحة ١٠٣.

[6] يقول الفيلسوف المتأثّر باللاهوت دوستويفسكي أن الله صنع حجراً كبيراً لدرجة انه لا يستطيع هو نفسه أن يرفعه فيما بعد وهذا الحجر هو حرّية الإنسان. راجع : مقالة باباتوماس، الأرشمندريت د.غريغوريوس : " إشكالية الخطيئة أو سقوط الإنسان في عصرنا"، حوليات معهد القدّيس يوحنا الدمشقي اللاهوتي، الحوليّة (٤–٥)، صفحة ٢٦٧.

[7] راجع : ديتريخ، سوزان دي: القصد الإلهي ،تعريب البطريرك إغناطيوس الرابع ورهبنة مار جرجس الحرف، صفحة ٢٢.

يَقولُ القدّيسُ غريغوريوس النّيصَصي:" إنَّ الإنسانَ هو عَمَلُ الله، ولأنَّ اللهَ صالحٌ أَوجَدَ هذا الكائنَ ... خَلَقَ الإنسانَ لأجْلِ أَنْ يكونَ شَريكاً في خَيْراته وأَعَدَّ طَبيعَتَهُ بطَريقَةٍ يؤهِّلَها أَنْ تَحْويَ كُلَّ مَبْدأ صالح، وكُلُّ واحدةٍ من هذه الإعْدادات تَحْملَهُ على اشتهاء الصِّفة الإلهيَّة الملائمَة"[٨].

إنَّ تعابيرَ الكتاب المقدّس: "وقالَ اللهُ نَعملُ الإنسانَ على صورَتنا كَشَبَهنا، فيَتَسَلَّطونَ على سَمَك البحر وطُيور السَّماء وعلى البَهائم وكُلِّ الأرض" (تك ١:٢٦) و "خَلَقَ اللهُ الإنسانَ على صورته، على صورة الله خَلَقَهُ، ذَكَراً وأُنثى خَلَقَهُم" (تك ١:٢٧) توضحُ أنَّ هناكَ تَشابُهاً وارتباطاً بينَ الإنسان وخالقه الذي نَفَخَ في أَنفه نَسَمَةَ الحياة (تك ٢:٧) .

الآباءُ القدّيسونَ يَرَونَ في الطَّبيعَة الواعيَة والعَقلانيَّة (الذِّهنيَة) للإنسان، أَو في سُلطَته الذّاتيّة وحُرِّيَة الإرادَة، أَو في خُلود النَّفس والقُدرة على التَّجَدُّد، معنىً لصورة الله في الإنسان. وكذلكَ وَجَدوا المثالَ في الكَمال الإلهيّ الذي أَرادَ اللهُ أنْ يَسعى إليه الإنسانُ مُتَقدِّماً نحوَهُ باستمرار. يَقولُ القدّيسُ كيرللس الأورشليميّ :"إنّكَ أيها الإنسانُ كائنٌ مزدوجٌ مكوَّنٌ من نفس وجسد[٩]، وعلاوةً على ذلكَ، إعْلَمْ أنَّ لكَ نَفْساً حُرَّةً هي منْ أَجمَل صَنائع الله، خَلَقَها على صورته؛ إنّها خالدةٌ ، لأنَّ اللهَ يَمنَحُها الخلود. إنّها كائنٌ عاقلٌ غيرُ فاسد، لأنَّ اللهَ مَنَحَها عَدمَ الفَساد. لها السُّلطَةُ أنْ تَفعَلَ ما تُريد. النَّفسُ خالدَةٌ، وكُلُّ النُّفوس متشابهةٌ، نفوسُ الرجال ونفوسُ النِّساء؛ إنّما الاختلافُ هو في أَعضاء الجسد"[١٠].

التّعليمُ الآبائيُّ يُرَكِّزُ على وَحدَة الجنس البَشَريّ، فَيَرى أنَّ الطَّبيعَةَ البَشَريَّةَ هي كَوَحْدَة مُستَمرّة وكاملة في كُلِّ واحد منَ المُشاركينَ فيها، وأَساسُ هذه الوَحدَة هو صورَةُ الله في كُلِّ شَخص، إذ بهذه الصُّورة الإلهيَّة تَتَوَحَّدُ كُلُّ البَشَريَّة ، مُنذُ بَدء الخَليقَة إلى نهايَتها، فلا فَرقَ بحسَب الجَوهَر بَينَ آدمَ الإنسان الأوّل وَذُرِّيَّته، بغَضِّ النظر عن المكان أو الزَّمان. فالكُلُّ يَحملُ في ذاته صورَةَ الله الذي أَبدَعَ الكُلّ. وقد خَصَّ اللهُ الإنسانَ بعنايَة مُباشَرَة إذْ مَيَّزَهُ عَن باقي الكائنات، كَما قُلنا سابقاً، بنَفخَته الخاصَة، إذ بها جَعَلَ منْ آدمَ وذُرِّيَتَهُ نَفسًا حَيَّةً. التّشديدُ في ذلكَ هو على فَرادَة الكائن البَشَريِّ، والتّأكيد أيضًا على وَحدَة طَبيعَة الإنسان الجَسَديَّة والرُّوحيَّة والَّتي تُمَيِّزُهُ عَنْ كُلِّ المَخلوقات المَنظورَة وغَير المَنظورَة. فهذا الإنسانُ، بجَسَده وروحه، أَصبَحَ صِلَةَ وَصْلٍ بَينَ العالَمَين الماديّ والرُّوحيّ.

القدّيسُ غريغوريوسُ بالاماس يَقولُ في مَعرض مقارَنَته بَينَ نَفس الحيوان وَنَفْس الإنسان:"للإنسان نَفسٌ وللحيوان نفسٌ. لكنَّ الفَرقَ الجَوهريَّ بَينَ النَّفس البَشَريَّة والنَّفس الحَيوانيَّة هو أنّ النَّفسَ البَشَريَّةَ تَملكُ الحياةَ بحسَب

---

[8] النّيصَصي، القدّيس غريغوريوس : المرجع السابق، صفحة ٣٤.

[9] نادى البعض تأثراً بأفلاطون بإنَّ الأنسان مركّبٌ من نفسٌ وجسدٌ وروحٌ وأما الآباء فلم يختلفوا في تحديد عناصر الإنسان وإنّما أجمعوا على أنَّ الإختلافَ إسميّ وليسَ حقيقياً، فالحديثُ عنِ الرُّوح كمُمَيَّزَة عنِ النفسِ إنَّما القصدُ به أنَّ النفسَ في أعلى مراتبها،حين تَتصل بالله تُسمّى روحاً. راجع: خضر، المطران جورج: الرؤية الأرثوذكسيّة لله والإنسان، صفحة٢٢.

[10] الأورشليمي، كيرللس: العظات، تعريب الأب جورج نصور، صفحة ٦٣و٦٤. طبعًا ليس المقصود إلغاء الإختلاف الشَّخصانيّ بين النّفوس.

الجَوهَرِ وبحسَبِ القوى، إذ إنَّها لا تَحيا وَحدَها ، بَلْ تَنقُلُ الحياةَ إلى الجَسَد. وأمّا النَّفسُ الحيوانيَّةُ فإنّها تَملكُ الحياةَ فقط بحسَبِ القوى كَوظيفَة للجَسَد الذي تَجعَلهُ حَيًّا والذي لا يبقى حيًّا أَبدًا"[11].

والقدّيسُ يوحنّا الدّمشقيُّ يَقولُ حَولَ النَّفسِ البَشريَّة: "... النَّفسُ جَوهرٌ حيٌّ بَسيطٌ ولا جسميٌّ، وهي بطَبيعَتِها لا تُرى بالأعيُنِ الجَسَديَّة ، هي خالدةٌ وناطِقَةٌ وعاقِلَةٌ ولا يُمكِنُ تصويرُها، وهي في حاجَةٍ إلى جسمٍ عُضويٍّ لتَمنَحَهُ الحياةَ والنُّموَّ والحسَّ والتّناسُلَ"[12] .

القدّيسُ يوحنّا الذَّهبيّ الفم يُدْلي بدَلوِه أَيضًا فيقولُ عَنِ النَّفْس: "إنَّما النَّفسُ بالنِّسبَة للإناءِ الخَزَفّي (الجَسَد التُّرابيّ) كالسَّائقِ للمَركَبَة، وكالرّبّان للسَّفينة، والموسيقار للقيثارَة ! إنَّها تُمسكُ باللِّجامِ وتُناورُ بالدّفّة وتَلعَبُ على الأوتارِ لتؤدِّيَ غايَتَها وتُخرجَ لنا نَغَماتِ الفَضائلِ عَذبَةً مُتَوافقَةً "[13] .

يُشدِّدُ القدّيسُ غريغوريوس النّيصَصي في كتابه "خَلْقُ الإنسان" على أنَّ الإنسانَ كان مُزدَوجاً بطَبيعَته ، أيْ أنّه منْ جَسَدٍ وروحٍ، وأنَّ حُضورَ الجَسَد ليس تالياً للخَلْقِ وكأنَّهُ وَسيلَةُ عقابٍ أو وَسيلَةُ إصلاحٍ وإنّما هِبَةٌ أصليَّةٌ لحفظ الوحدَة بيْنَ العَناصرِ المُختَلفَة، وإنَّ النَّفسَ المَخلوقَةَ تأتي إلى الإنسانِ عند الحَبَلِ به، وأنَّ الرُّوح لا تَستَقرُّ في مَكانٍ مُعَيَّنٍ في الجَسَد ، وإنَّما تَرتَبطُ بكُلِّ جزْءٍ منْهُ بصورَةٍ غَيرَ قابلَة للوصْف[14] .

إذاً، الإنسانُ، بحسَبِ المفهومِ الكَنَسيّ، هو محورُ الخَليقَة كُلِّها، وكُلُّ ما في الكَونِ كان لأجْلِه ومنْ أَجْل نَفْسه[15] . هو أُقنومُ الكَونِ كُلِّه ، كما يقولُ اللاهوتيّ فلاديمير لوسكي: "هو أقنومُ الكَوْنِ كُلِّه، الذي يَشتَرِكُ في طَبيعَته . الأرضُ تَجدُ مَعناها الشَّخْصيّ في الإنسان، والإنسانُ هو للكونِ رَجاءُ نَيْلِ النِّعمَة وَالاتِّحاد مع الله"[16] .

كُلُّ ما قيلَ عن الإنسانِ هو منْ أَجْلِ أَنْ نَعْرِفَ القيمةَ الَّتي لهُ عندَ الخالق. وأيضاً كما يقولُ القدّيسُ غريغوريوسُ السِّينائيّ، وهو قدّيسٌ منَ القَرْنِ الخامسَ عَشَر: "إذا لم نُدركْ في أيّة حالةٍ خَلَقَنا اللهُ، لن نُدرِكَ أبداً ما فَعَلَت الخَطيئَةُ بنا"[17].

---

11 طرابلسي،د. عدنان : الرؤية الأرثوذكسيّة للإنسان (الأنثروبولوجيا الصوفيّة) ، صفحة ٥٧ و٥٨.

12 الدمشقي ، القديس يوحنا : المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي،تعريب الأرشمندريت أدريانوس شكّور ق. ب.، صفحة ١١٦.

13 ملطي، القمص تادرس يعقوب: القدّيس يوحنا الذَّهبيّ الفم ، صفحة ٣١٢.

14 جبّور، اسبيرو : سر التدبير الإلهي (التجسّد) ، صفحة ٧٥.

15 القدّيس باسيليوس الكبير يقول : " كلُّ الخليقة كانت لأجل النفس، الناموس النبؤات ، الأناجيل ...". لدى : طرابلسي، د. عدنان : المرجع السابق ، صفحة ٥٩.

16 المرجع نفسه ، صفحة ٧٠.

17 باباتوماس، الأرشمندريت د.غريغوريوس : " إشكالية الخطيئة أو سقوط الإنسان في عصرنا"، صفحة ٢٦٤.

❖ أجرة الخطيئة : الموت!

كُلُّ شَيءٍ وُجدَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَرتَقيَ هذا المحبوبُ بنَفْسه ، بمعيَّة النِّعمَة الإلهيَّة، إلى أنْ يُصبحَ مُتألِّهاً، شَريكاً للطَّبيعَة الإلهيَّة (٢بط١:٣). وبحسَب مَرْكَزيَّة الإنسان بالنِّسبة للخليقة فأيّ انحراف لهُ عن الله يؤثّرُ تالياً على كُلِّ الكَون. ومِنَ الموقعِ هذا عليه أَنْ يَنْموَ بالحُرِّيَة وَبالاتِّصالِ الدّائمِ بالله، بمؤازَرَة النِّعمَة الإلهيَّة، فَيصلَ إلى الكَمالِ الذي على مثالِ الله، فَيَحْيا معه، إلى الأبد.

العَلاقَةُ بين الله والإنسان هي إذاً علاقَةُ "تآزرٍ"، بحيثُ أنَّ اللهَ لا يَفْرِضُ نَفْسَهُ على الإنسان، وهذا الأخيرُ يَقْبَلُ بحُرِّيَته فعْلَ النِّعْمَة الإلهيَّة والَّتي بدونها لا يَستَطيعُ الكائنُ البَشَريُّ أنْ يَتألَّهَ وأنْ يُحقِّقَ كَمالَ إنسانيَّته. يقولُ القدّيسُ يوحنّا الذَّهبيّ الفم:" اللهُ لا يجذب أيَّ إنسانٍ إليه بالقوَّة أو بالعُنف. إنَّهُ يَرغَبُ في خلاصِ الجميع، لكنَّهُ لا يُرغِمُ أحَداً"[١٨].

مِنْ هنا نَفهَمُ أَنَّ على عاتقِ الإنسان قَبولَ ما صَمَّمَهُ اللهُ أو رَفْضَهُ، وأنَّ عليه أَنْ يَعيَ أنَّ تحقيقَ كَمالِ كيانه لا يأتي مِنَ الانطواء أو الانغلاق على الذّات، بَلْ مِنَ الانفتاحِ إلى ذلكَ الآخَرِ الإلهيّ والثِّقَة به والأُلْفَة مَعَهُ والسَّيرِ في دَرْبِه، وأَنْ يَعتَرِفَ في قَرارَة نَفْسه بِأَنَّ مِنَ اللهِ وَحدَهُ يَستَمِدّ قوَّةَ التَّغَلُّب على الضُّعْف والفَناء[١٩].

آدَمُ وحوّاءُ كانا يعيشان في جَنّة عَدْن ، باتصالٍ دائمٍ باللهِ مَصْدَرِ وُجودهما، يَتَنَعَّمان بدفئه، وهذه هي الخصوصيَّةُ الأولى للحالَة الَّتي كانت قَبْلَ سُــقوطِ الإنسان[٢٠] ، لكنَّهما بَدَلَ أَنْ يُتابعا طَريقَهُما باتجاه بارئهما، والَّتي أرشَدَهُما إليها، عَمَدا إلى تَغيير إتجاههما ورَفَضا إرادَةَ الله، فَوَضَعا إرادَتَهما مُقابلَ إرادةِ خالقِهما وبمبادَرَتهما الشَّخْصيَّة هذه فَصَلا نَفْسَيْهما عن الله.

بهذا التَّحَوُّل عن الله، الذي هو مَصْدَرُ الحياة والخُلود، جَعَلَ الإنسانان الأوَّلان (الجدّان الأوّلان) نَفْسَيهما في وَضْعٍ مُعاكسٍ لطَبيعَتَيهما، ممّا أَدّى إلى حَتْميَّة تَمَزُّق الكيان الإنسانيّ، فيمرض هذان الشَّخصان للمرّة الأولى، يَفسُدُ جَسَداهُما وَيُتْلَفان. وعندما يُنجبان الأطفالَ فإنَّهما يُنجبانهم خارجَ الجنّة، ويَنقلان لهم ما يَحْملانه، أَي الإرثَ الجينيَّ المريض، وهذا يَسْتَتْبعُ لا العبوديّةَ وَالتَّلَفَ فقط، وإنّما العَبَثيَّةَ والظُّلم[٢١].

بسبب الوحدة السرّية للجنس البشريّ، لم يكن آدمُ وحدَهُ هو الّذي خضع للموت، بل أُخضعت له الإنسانيّةُ جمعاء[٢٢]". من أجلِ ذلك كأنّما "بإنسان دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموتُ إلى جميع النّاسِ إذْ أخطأَ الجميع" (رو٥:١٢)، كذلك لم يَكُنِ التّمزّقُ الّذي نَتَجَ عَنِ السُّقُوطِ مادّيّاً فقط بَلْ كان رُوحيّاً

---

18 وير، تيموثي : الكنيسة الأرثوذكسيّة (إيمان وعقيدة) ، صفحة ٤٣.

19 بندلي، كوستي : المرجع السابق ، صفحة ٧٨.

20 باباتوماس، الأرشمندريت د.غريغوريوس: المرجع السابق، صفحة ٢٦٥.

21 المرجع نفسه ، صفحة ٢٦٥.

22 غرولو، الأب بيار : من أنت أيها الإنسان ؟ ، صفحة ٣٨.

ومَعْنَوِيّاً أيضاً. فبعدَ انفصالِ آدَمَ وَذُرِّيَّتِه عَنِ اللهِ، أصبحوا تحتَ سُلْطَةِ الخطيئةِ والشّيطان، وكلُّ كائنٍ بشريٍّ باتَ ينشأ في عالمٍ تُحيطُ به وَتَسُودُهُ الخطيئةُ والفساد (عب ١٢:١)، و"**أجرة الخطيئة هي موت**" (رو٦:٢٣).
الإنسان هو الذي فتح الجحيمَ على الخليقة كلِّها، فصارت الخليقةُ في ليلٍ دامس، وصارت النِّعمَةُ غريبةً عن الإنسان، فَخَسِرَ التَّحَرُّكَ نَحوَ اللهِ، وَتَشَوَّهَتْ صُورَةُ اللهِ فيه[٢٣]، وَامْتَدَّ هذا المَرض، مَرَضُ الخطيئة، مرضُ الإرادةِ المخدوعة تبْعاً للقديس غريغوريوس النّيصَصيّ[٢٤]، إلى مجمل الجنس البشري. يشبّه القدّيس كيرللس وضع الإنسان بصورة النَّبْتَةِ الَّتي إنْ مَرِضَ الجَذْرُ منها تَسْقُطُ الأغصانُ أيضاً في المرض. ويقولُ إنّ هذا ما حلَّ بالإنسان إذ لَبِسَ أَقمطةَ الفسادِ والموتِ الجِلْدِيّة[٢٥].

بِسَقْطَةِ الإنسانِ بَطَلَ الانسجامُ الَّذي أَعَدَّهُ اللهُ بينَ الإنسانِ والطَّبيعة، وَتَمَرَّدَتْ عَلَيه حينَ تشوَّهَتْ صُورةُ اللهِ فيه: "ملعونةٌ الأرضُ بِسَبَبِكَ. بمشقّة تأكلُ منها كلَّ أيام حياتكَ، وَشَوكاً وحَسَكاً تُنبتُ لك" (تك ٣:١٧ و ١٨)، وَأَصْبَحَتِ الطَّبيعةُ مصدرَ مَتاعبَ وكَوارثَ وَنَكَبات للإنسان، وأَخَذَت الحَيَواناتُ تُؤذيه والجراثيمُ تَفْتُكُ به[٢٦]. وَبِسَقْطَتِه تَصَدَّعَت الوَحْدَةُ بَينَهُ وبينَ سائرِ البَشَر، وتسرَّبَ الانقسامُ إلى سائرِ البَشَريّة، ممّا أَحْدَثَ أَوَّلَ حالةِ قَتْلٍ، موتٍ، في تاريخِ البشريّة، حينَ قَتَلَ قايينُ أخاه . وَبِهذا البُعْدِ عَنِ اللهِ، تعرّضَ الكيانُ الإنسانيُّ إلى تفكّكٍ في العلاقة بين الجسدِ والرُّوح فأصبح للجسدِ استقلالُه، وأخذ يحاولُ فرضَ شهواته على الإنسان وكأنّه غريبٌ عنه[٢٧]، وضعُفت الإرادة إلى الوصول إلى الكمال، وصار الإنسان ميّالاً إلى الشرِّ أكثرَ من الخيرِ بعدَ تعوُّدِه عليه .

النّتيجةُ المخيفةُ للخطيئةِ هي قطعُ الإنسانِ الشّركةَ مع اللهِ، وهذا يعني أن تفقدَ النَّفس العنصرَ الأساس لحياتها ، أي أن تفقد قوى الرُّوح القدس المحيية، الأَمرُ الّذي يَعْقُبُهُ حتماً الموت. وهذا ما حصل، وتحقّق تنبيهُ اللهِ للإنسان: "وأمّا شجرة معرفة الخير والشرّ فلا تأكل منها لأنَّك يوم تأكل منها موتاً تموت" (تك ٢:١٧). هذه الشّجرةُ الَّتي هي بالحقيقة ليست سوى تعبيرٍ عن مرأى اللهِ أو رؤية اللهِ الَّتي كان من الممكن أن يدنوَ إليها أولئك الَّذين بلغوا الكمال بالمِرانِ والتّدريبِ على حَسَبِ قَولِ القدّيس غريغوريوس اللاهوتي[٢٨].

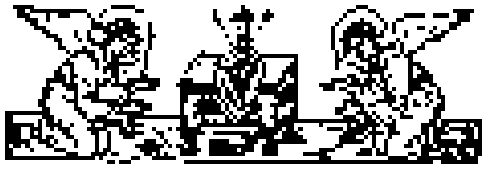

23 خضر، المطران جورج: المرجع السابق، صفحة ٢٢ و٢٣.
24 طرابلسي، د. عدنان :المرجع السابق، صفحة ١٤١.
25 فلاخوس، الميتروبوليت إيروثيوس: الفكر الكنسي الأرثوذكسي، تعريب الأب أنطوان ملكي، صفحة ١٥٢.
26 بندلي، كوستي . ومجموعة من المؤلفين : مدخل إلى العقيدة المسيحية ، صفحة ٩٤.
27 المرجع نفسه ، صفحة ٩٣.
28 مختارات من القدّيس غريغوريوس اللاهوتي النزينزي ، تعريب الأسقف استفانوس حداد ، صفحة ١٨٠.

❖ تَعليمُ الكتابِ المقدَّسِ والآباءِ عَنِ المَوتِ:

"إنَّ الجنسَ البشريَّ هو الجنس الوحيد الَّذي يعرف إنّهُ سَيَموتُ، وهو يَعرِفُ ذلكَ مِنْ خِلالِ التَّجرِبَة"، هذا ما يقوله الشَّاعرُ الفرَنسيُّ فولتير[29] .

إنَّ طَبيعَةَ الموتِ هي كُلّيةٌ ومُطلَقَةٌ، بمعنى أَنَّ جَميعَ البَشَرِ مائتونَ لا مَحالَة، وأنَّ المادَّةَ سَتَضمَحِلُّ ولن يبقى منها شيءٌ نَلحَظُهُ[30]، لهذا قيلَ إنَّ الموتَ يَتْـــبَعُ معَ الجَميعِ سياسَةً ديموقراطيةً تَقومُ على المساواةِ المُطلَقَة، إنْ صَحَّ التَّعبيرُ، فلا يَعرفُ التَّمييزَ بَينَ الألوانِ والطَّبَقاتِ ولا بَينَ الأجناسِ والأعراق. هذا ما نَقرأ في خِدمَةِ الجنّازِ ، في كَنيسَتِنا الأرثوذُكسيَّة: "لأنَّنا جميعنا سنزول ونموت، الملوك والرؤساء والقضاة والزّعماء، الأغنياء والفقراء وكلُّ طبيعةِ البشر، فإن كانوا قبلاً على قيد الحياة سنراهم مطروحين في القبور... فأيٌّ هو الملك؟ أيٌّ هو الجنديّ؟ أيٌّ هو الغنيّ أو الفقير؟ أيٌّ هو الصِّدّيق أو الخاطئ؟"[31] .

لكن، رغم هذا الطابع الشموليّ للموت، فهو يحمل طابعاً شخصيّاً أيضاً، إذ كلّ إنسانٍ لا بُدَّ أن يموت وحده، ولا بُدَّ أن يموت هو نفسُهُ ، ولا يمكن لأحدٍ أن يموت نيابةً عنه او بدلاً منه .

والموت بحدِّ ذاته يجمعُ بين اليقينِ وعدمِ اليقين، كونَ الإنسانِ يُدركُ حتميّةَ موته، وبالمقابل لا يُدركُ أيَّ شيءٍ عن موته. فهو، كما قال بسكال:" إنَّ كلَّ ما أعرفُه هو أنّه لا بُدَّ لي أن أموت عمّا قريب، ولكنّي لا أجهلُ شيئاً قدرَ ما أجهل هذا الموت الَّذي ليس لي عليه يَدان!"[32].

النّظرةُ إلى الموت تختلفُ بين حقبةٍ تاريخيّةٍ وأخرى، بين شعبٍ وآخر ، بين شخصٍ وآخر، لا سيّما بحسب ما يرتبط بهذا الشخص أو الجماعة من معتقداتٍ دينيّةٍ أو فلسفيّة. منهم مَن يرى أنَّ الحياة في الإنسان ليست بيولوجيّةً أو كَمّيّةً فحسب، وإنّما هي تتعرّضُ لتحوُّلاتٍ كيفيّةٍ تُواكِبُها رغبةٌ في التّحرُّرِ مِمّا هو زائل، وأنّ أمَلاً في الوجود البشريِّ بعد الموت هو أمرٌ حتميّ[33].

وهنالك مَن يرى في الموت "أنّه ليس بنُكتةٍ سخيفةٍ وإنّما هو يُنهي الحياةَ بأسرها، وأنّ الوجود بسببه يلحق بمرتبة العدم. فَالخُلُودُ الوَحيدُ، تاليًا، هو باستمرارِ الحياةِ في النّسل البشريّ على الأرض"[34]. وهناك طروحاتٌ كثيرةٌ في التّاريخِ تحاولُ أن تُظهرَ ماهيةَ الموتِ بحسبِ ما يوافقُ معتقداتِهم وأفكارِهم[35] .

---

29 شورون، جاك : الموت في الفكر الغربي ، ترجمة كامل يوسف حسين ، صفحة ١٨.

30 كلوز، فرانك : النهاية (الكوارث الكونية واثرها في مسار الكون) ، ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي، صفحة ٢٥٤.

31 كتاب مختصر الأفخولوجي، خدمة الجنّاز.

32 شورون، جاك : المرجع السابق، صفحة ٥.

33 ماكوري ، جون : الوجودية ، ترجمة د. إمام عبد الفتّاح إمام، صفحة ٣٦٤ و٣٦٥.

34 الموت في الفكر الغربي ، صفحة ٢٠٧ و٢٠٨.

35 لمزيد من الإضطلاع على مفاهيم الموت المختلفة عند الشعوب الشرقية القديمة راجع: كولر، جون : الفكر الشرقي القديم، ترجمة كامل يوسف حسين، سلسلة عالم المعرفة – الكويت، تموز ١٩٩٥.

السّؤالُ الّذي يُطرحُ علينا الآن: ما هو رأيُ الكتابِ المقدّسِ والآباء بالموت؟ وما هي الخبرةُ الّتي كوّنَها شعبٌ عاش الحياة مع الله إن في العهد القديم أو الجديد أو في العصور اللاحقة؟

الإيمان بوجود الحياة بعد الموت بالإضافة إلى قيامة مستقبليّة بطريقةٍ ما، كان يَتَسَرَّب تدريجيّاً كَنورٍ خافتٍ ليقوى شيئًا فشيئًا بالنسبة للشَّعب العبراني ابتداءً من الأبرار القدماء الذين ساروا مع الله، مثل أخنوخ وصولاً إلى فترة المكابيين[36].

في البدء كان الاعتقادُ عند شعب العهد القديم هو أن ليس للإنسان حياةٌ بالمعنى الصَّحيح، بل أنّ كلّ شيء سينتهي، لكنّه لن يفنى بالكلّية وإنّما يبقى من هذا الكائن البشري طيفٌ هزيل، خيال، ظلّ[37]، يُضبط في مكان يسمّى الجحيم (الشيئول)[38]. هذا المكان الّذي تذهب إليه الأطياف هو على شكل حُفرة، بئر عميق[39]، وكأنّه موقع صمت (مز ١١٥:١٩) ، فيه هلاكٌ وظلماتٌ ونسيانٌ (مز ٦:٤ ، مز ٨٨، أيوب ١٧:١٣). كلُّ الأموات يشتركون في نفس المصير البائس (أيوب ٣:١٣– ١٩)، في هذا الموقع، وإن تفاوتت درجات خزيهم (حز ٣٢:١٧–٣٢). الأمل مفقود ومعرفة الله معدومةٌ ، ليس من شعور بمعجزاته ولا تسابيح تقدَّم إليه (مز ٦:٦، ٣٠:١٠، ٨٨:١٢–١٣)[40].

أمّا الشيء المهم في موضوع الموت أنَّهُ، عندَ اليهوديّ المؤمن، ليس مشكلةً بحدِّ ذاته، بل المشكلة هي بأنّه يرى في الموت انقطاعَ العلاقةِ بينَهُ وبين الله. والعلاقةُ بين المؤمنِ والله هي أثمنُ من الحياةِ نفسِها: "لأنَّ رحمَتَك أفضلُ من الحياة" (مز ٦٣:٣)[41]. هذا يُعتَبر، بالنسبة له، عذاباً أكثر من الفناء والزّوال، فالطيف لا يُسبّح الله:

---

36 عطيّة ، الأب د. جورج: الكون بين الأسطورة والعلم، صفحة ٥٦.

37 أحد النعوت الأكثر إستعمالاً للدلالة على الأموات هو " رفائيم" ، وهو لفظ غامض يُترجَم عادةً بـــ " ظلال " وكان يدلُّ أيضاً على الجبابرة الّذين سكنوا الأرض في الزمن القديم، وعلى آلهةِ مملكة الأموات في أوغاريت.
راجع : مرشدور، ألان : المرجع نفسه، صفحة ١٦.

38 يفرّق شرّاح الكتاب المقدّس بين الجحيم وجهنّم، فالجحيم هو شيئول (يُدعى أيضاً ترتاروس أو طرطروس) هو مثوى الأموات (الّذي عرفه الأشوريون البابليون بـــ (أرالو) واليونانيون بـــ (آذيس)) هو مكان ينزل إليه كلُّ الأحياء (إش ٣٨:١٨، حز ٣١:١٤) ولن يصعدوا منها أبداً (مز ٨٨:١٠، أي ٧:٩) إنّه مقرّ الأموات ، مقرّ إنتقالي، بينما جهنّم فهي اسم عَلم يهودي يُطلق على أخدود سحيق قريب من أورشليم وهو دلالة إلى الهلاك الأبدي ، إنّها تُفني الأشرار في الأهوال (مز ٧٣:١٩). راجع : مجموعة من المعرّبين : معجم اللاهوت الكتابي ، صفحة ٢٢٧ –٢٣٠ وأيضاً : بريانشانينوف، القديس إغناطيوس: في الموت ، ترجمة دير السيدة كفتون ، صفحة ٢٩.وأيضاً : بندلي،كوستي : أمثال الملكوت ، صفحة ٩١.
ملاحظة: المزامير التي نستعين بها تمتدّ في الزمن من القرن السابع إلى القرن الثّالث ق.م.علماً أنَّ بعض المفسِّرين يرقّون المزامير ٧٣،٤٩،١٦، إلى ما بعد الجلاء بقليل نظراً إلى التعليم الوارد فيها.راجع : مرشدور، ألان : المرجع السابق، صفحة ٢٤.

39 هذه التعابير في أغلبها صوريّة تَصِفُ وصفًا عامًا مجازيًّا أو شعريًّا إلى ما تؤول إليه حالةُ الإنسانِ بعد الموت، وهو بالتالي ليس عالمًا مكانيًّا خاصًّا يتواجدُ تحتَ الأرض كما بالنسبة للتصوّر الأسطوري عند باقي الشعوبوإنما إشارات تعكس حالة الإنسان المأساويّة بعد موته الجسدي والتي حصلت نتيجةَ الإبتعاد عن مصدر الحياة والخلود أيّ الله .راجع : عطيّة ، الأب د. جورج : المرجع السابق، صفحة ٥٤–٥٥.

40 مجموعة من المعرّبين : معجم اللاهوت الكتابي ، المرجع السابق، صفحة: ٧٨٠.

41 كل إنسان مؤمن حقيقي يصل إلى نفس المشاعر والأحاسيس لدرجة الإقدام على الشهادة من أجل الإيمان.إنه يقدّم ذاته ليحافظ عليها.

" لأنَّه ليس في الموت ذكرك وفي الهاوية مَن يحمدك؟" (مز ٦:٤) .

" أفلعلّك للأمواتِ تصنعُ العجائبَ أم الأطياف تقوم تمجّدك؟ هل يُحدَّثُ في القبر برحمتك أو بحقّك في الهلاك؟ هل تُعرف في الظلمة عجائبُك وبرُّك في أرضِ النسيان؟" (مز ٨٨:١٠-١٢).

إن أرض النّسيانِ هي الموت، أي أنّ الإنسان بالموت يُصبح منسيّاً من الله، فالله نفسُه لا يعود يَذكُر الموتى "مثلَ القتلى المضطجعين في القبرِ الّذين لا تذكُرُهم من بعد"(مز ٨٨:٦)

و "لأنَّ الأحياء يعلمون أنّهم سيموتون، أمّا الموتى فلا يعلمون شيئاً وليس لهم أجرٌ بعدُ لأنَّ ذكرهم نُسيَ " (جا ٩:٥). وهذه هي بالحقيقة المشكلةُ الكبرى الّتي كان يعاني منها المؤمن اليهوديُّ المتعلّق بالله[٤٢].

اليهود، في المرحلة الأولى، كانوا يعتقدون أنَّ بركات الله هي في هذه الدّنيا، لكنّ بعض التّساؤلات الّتي راودت أفكارَهم جعلهم يتخطّون هذا الموضوع. ومن هذه التّساؤلات:
أوّلاً: موضوع عذاب الصَّالحين على الأرض وفرح الأشرار.
ثانياً: مصير الجماعة اليهوديّة كلِّها، لأنَّ الجماعةَ اليهوديّةَ كلَّها "كلّ إسرائيل" رأت أنّ وعود الله لها لم تُعطها السّعادةَ الكاملةَ الّتي تَحْلُمُ بها، والّتي كانت تنتظرها، ولأنَّهم رأوا أنّ هذا الشعب قد مرّ بمِحَنٍ وويلاتٍ كثيرة، كالسَّبي والتّشرّد وقتل الكثير منهم والطّرد من الأرض في وقت من الأوقات. وكما نرى في سفر المزامير أنَّ الإنسان مهما عمّر بهذه الدّنيا (والّتي يقول الناس إنّها مكافأة من الله أن يُعمّر الإنسان) سبعين أو ثمانين سنة فأكثرها "تعبٌ ووجعٌ وبليّة" (مز ٩٠:١٩) فإذا كانت هذه الخيراتُ الّتي وَعَدَ بها اللهُ الشَّعْبَ المؤمنَ شيئًا هزيلاً، وأكثرُها "تعبٌ ووجعٌ"، إذاً ما هي هذه المواعيدُ الّتي أخذوها؟ وما هي الأرض الّتي وعدهم الله بها، والّتي يتدفّق منها اللبن والعسل؟ وما هي المواعيد بالسعادة الكاملة الّتي كلّمهم عنها الرّبّ؟ من هنا بدأ الشعب العبرانيّ يكتشف أنَّ مواعيد الله لم تتحقّقْ بعد، وأنّ دخولَهُم إلى أرض الميعاد ليس هو الموعد الحقيقيّ وإنّما الموعد هو مستقبليٌّ، لم يأتِ بَعْدُ ولكنّه سيأتي. وبدأت النّظرةُ تَتبلْوَرُ أنَّ بَرَكَةَ الله ليست مرتبطةً بمسرحِ هذه الحياة الدّنيا، وإنّما تتخطّى هذه الفانية[٤٣] .

إنّ تحرُّرَ الشّعبِ من فرعون لم يُحرِّرْهُ لا من الشّقاء ولا من الموت ولا من الشرّ، لا بل يرى أمامه أنّ البارّ يشقى على الأرض، في حين أنّ الشرّيرَ يعيشُ في رخاء. لذلك، التّحرّرُ هو مستقبليٌّ، والّذي حصل ليس إلاّ صورةً عن أمرٍ أو حَدَثٍ يجبُ أن يحصلَ فيما بعد، وبالتّالي أصبح الشعب يعيش في حالة انتظارٍ وترقّبٍ للزّمن الّذي ستزول فيه هذه البلايا والحروب والموت والظلم. وأصبحت رؤيا الشعب مرتبطةً بالإيمان بأنَّ الله غير خاضع لقوى الموت، وله القدرةُ على بعثِ الحياة حتّى في العظام اليابسة، كما نرى في سفر حزقيال النبيّ الإصحاح ٣٧. فالتّناقض الّذي قام بين تعاسة المؤمنين الأبرار وسعادة الأشرار، بالإضافة إلى الشعور بانتهاءِ عصرِ

---

42 غُورغ، الأب ميشيل : المزامير ويسوع يسوع والمزامير ، ترجمة الأب فيكتور شلحُت اليسوعيّ ، صفحة ٢٠.
43 مرشدور، ألان : الموت والحياة في الكتاب المقدّس ، ترجمة الأم ماري هنرييت غانم ، صفحة ٢١.

الأنبياء، أدّيا إلى الشُّعور بأنَّ "القيامة" أَصْبَحَتْ حقيقيَّةً، وإن اقتَصَرَت فقط على الشُّهداء الَّذين ماتوا في سبيل إيمانهم[44] حتى أنَّ هذا الإيمان الثّابت بالقيامة حمل بعض المؤمنين على تجشّم أخطار الأمانة للربّ حتّى النهاية، كما نقرأ في سفر المكابيّين الثّاني :

"ولما فارق الأوّلُ الحياةَ ساقوا الثّاني إلى التعذيب... وفيما كان على آخرِ رَمَقٍ قال: ((إنَّك أيُّها المُجرمُ تَسلُبُنا الحياةَ الدُّنيا، ولكنَّ مَلِكَ العالَم، إذا مُتنا في سبيلِ شرائعه، سيُقيمُنا لحياةٍ أبديَّة))... ولّما فارق هذه الحياة، عذَّبوا الرَّابعَ ونَكَّلوا به بمثلِ ذلك. ولّما أشرف على الموت قال: ((خَيرٌ أن يَموتَ الإنسانُ بأيدي النَّاس ويَرجوَ أنْ يُقيمَهُ اللهُ، فلكَ أنتَ لن تكونَ قيامَةٌ للحياة))"(٢مل ٧:١– ١٥).

وأيضًا: "لذلك فإنَّ خالق العالم الَّذي جَبَلَ الجنسَ البشري والَّذي هو أصلُ كلّ شيء، سيُعيدُ لكم برحمته الرُّوحَ والحياةَ لأنَّكم تستهينون الآن بأنفسكم في سبيل شرائعه" (٢ مك ٧:٢٣).

ثمّ بدأ الشعبُ العبرانيُّ يَعي أنّه من غير الممكن أن يكونَ ملكوتُ الله مقصوراً على جيلٍ من الأجيالِ ويُهملَ كلَّ الأجيال السابقة، وخاصةً أولئك الَّذين لمعوا ككواكبَ ببرّهم، كإبراهيم وإسحق ويعقوب وغيرهم من الآباء، وأنَّ هؤلاء لا بُدَّ أن يشاركوا بهذا الملكوت. فَلا بُدَّ، تاليًا، مِنْ أن تكون هناك قيامةٌ حتّى يعودَ الأمواتُ للمشاركة بهذا الملكوت، وهذا ما نقرأ في سفر الحكمة وهو من كُتُب الخمسينيّات ق.م. :

" أمّا نفوس الأبرار فهي بيَدِ الله فلا يَمَسُّها أيُّ عذاب. في أعيُن الأغبياء أنَّهم ماتوا وحُسِبَ ذهابُهم مصيبةً ورحيلُهم عنّا كارثةً لكنَّهم في سلام. وإذا كانوا في عُيونِ النَّاسِ قد عُوقِبُوا، فَرَجاؤُهُم كان مملوءًا خلوداً"(سفر الحكمة ٣:١–٤). وهكذا، وفي هذه المرحلة التّاريخية، تَتلاقى النّبوءاتُ وتعاليمُ الحُكَماء ولغةُ الفلسفة اليونانيّة، لتُظهر أَنَّ واقعَ الموت لا يُلغي الوجودَ الكيانيَّ للفَرد، لا بَلْ تَبقى النَّفسُ مُتَمَتِّعَةً بوجودٍ ذاتيٍّ أَكثَرَ واقعيّةً مِنَ "الظِّلال" الَّتي عَرَفَها اليَهودُ في المراحلِ الأولى مِنْ مَسيرَتِهم الإيمانيّة، ولم يعُدْ المؤمنُ اليَهوديُّ يَتَحرّج من الحديث عن الموت وعن الموتى[45]، بل أصبح يجاهرُ بأنّه حتّى لو سَلَكَ في وادي ظلالِ الموت فإنَّه لا يخشى شرّاً لأنَّ الله معه، دون أن ننسى أنَّ ثَمَّةَ فئةً من اليهود بَقيَت حتى زَمَنِ الرَّبِّ يَسوع تنكُرُ خُلودَ النَّفسِ والعِقابَ والمكافأةَ في الآخِرَة، كالصّدّوقيين.

نشأ الرّبّ يسوع في منطقة يبدو أنَّها لم تتأثّر إلاّ قليلاً بتطوّرات التّفكير اليهوديّ الحديثة: "... أوصاهم (يسوع) أن لا يُحَدِّثوا أحدًا بما أَبصَروا، إلاّ مَتى قامَ ابنُ الإنسانِ مِنَ الأموات. فَحَفظوا الكَلِمَةَ لأنفُسِهِم وأَخَذوا يَتَساءَلونَ ما هوَ القيامُ مِنْ بَينِ الأموات؟"(مر ٩:٢–١٠).

إنَّ الرَّبَّ في نَظَرِ تلاميذه رَجُلٌ في خُطى كبارِ مؤمني الكتاب المقدَّس الَّذينَ كانوا يَعُدُّونَ الحياةَ الحَقيقيَّةَ اتّصالاً بالله[46]؛ فَهوَ الَّذي قالَ :" طَعامي أَنْ أَعمَلَ مَشيئَةَ الَّذي أَرسَلَني وأَنْ أُتَمِّمَ عَمَلَهُ" (يو ٤:٣٤). وبالفعل إنَّ العُنصُرَ الجَديدَ الَّذي كَشَفَهُ الرَّبُّ يَسوعُ في بشارَته وبكُلِّ حَياته وبموته، هو أَنَّ العَلاقَةَ الَّتي تَربطُ بَينَ الخالق والمَخلوق، إنما هيَ مَحَبَّةُ الله غَيرُ المُتَناهيَّة للبَشَر، أَيْ أَنَّ الله يُحبُّ الإنسانَ فَوقَ ما يَستَطيع الإنسانُ أَنْ يَتَصَوَّر ، لا بَل إنَّه يُحبُّ الإنسانَ أَكثَرَ بكَثيرٍ مما يُحبُّ الإنسانُ نَفسَه. هذا ما أَعلَنَهُ الرَّبُّ يَسوعُ وكَشَفَهُ، كَونَهُ نقطَةَ اللقاء

---

44 المرجع نفسه ، صفحة ٣٨ و٣٩.

45 عبد الخالق، د.أحمد محمد : قلق الموت ، صفحة ١٥٧.

46 مرشدور، ألان : المرجع السابق، صفحة ٤٢.

بين الله والإنسان، حيث أنَّه هو الكائن الوحيد الَّذي من خلاله أُظهر ما هو الإنسان وما هو الله؛ لأنَّه هو الوحيد الَّذي كان الإنسانَ الكاملَ والإلهَ الكامل[٤٧].

الرّبُّ يسوع المسيح أجاب من خلال تعليمه عن هذه العلاقة، علاقة الحُبّ "الحُبّ الأبويّ من جهة الله الآب، والحبّ البَنَويّ من جهة الإنسان المؤمن"[٤٨]، عن كُلِّ التّساؤلاتِ الحارّةِ المأساويّة الَّتي كانت مطروحةً على الشعب العبرانيّ، وبخاصّة تلك المتعلّقة بالموت.

مقولة السيِّد تُفيدُ أنَّ محبةَ الله للبشر تجعل من الإستحالة بمكان أن ينسى الله الإنسان أو أن يرميه في أرضِ النسيان، إذ أنَّ مَن يُحبّ يتمنّى أن يُخلِّدَ محبوبه. لكنَّ الإنسان المخلوق يصطدم بمخلوقيَّتِه وعجزِه هو، وبالتّالي سَيَسْري الموتُ إليه أيضاً. وكلُّ ما يستطيع فعلَه بحسبِ محدوديَّته هو أن يتذكّرَ من يُحبّ إلى يوم وفاته. لكنَّ الأمر مختلفٌ بالنسبة لله، فـ "عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كلُّ شيءٍ مستطاع" (مت ١٩:٢٣). مقولةُ السيّد كانت:

"خرافي تسمعُ صوتي وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيها حياةً أبديّة، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحدٌ من يدي. أبي الَّذي أعطاني إياها هو أعظم من الكلّ ولا يقدر أحدٌ أن يخطف من يدِ أبي. أنا والآب واحد" (يو١٠:٢٧–٣٠).

إنَّ الله، بيسوع المسيح، شارك الإنسان في موته، وهذا يعني أنَّ الإنسان لم يعُد وحده بالموت في أرض النسيان، بل سيكون الله معه؛ لأنَّ الله زجَّ نفسه في الجحيم، في الهاوية. يقول الإله – الإنسان، مُنبئاً بنزولِه إلى الجحيم بالنَّفس وبالألوهة غيرِ المنفصلةِ عن النَّفس: "يبقى الإنسانُ في جَوْفِ الأرضِ ثلاثة أيّامٍ وثلاث ليالٍ" (مت ١٢:٤٠)[٤٩]، ويقول القدّيس بطرس إنّه ذهب ليكرزَ للأرواح الَّتي في السّجن (١بط ٣:١٩).

اللهُ، بيسوعَ المسيحِ، أرادَ أنْ يجتازَ خبرَةَ الإنسانِ نفسَها في أرضِ النسيان. وهذا معنى صرخة يسوع (الصّلاة) الممزوجة بالشعور بالتّخلّي : "إيلي ايلي، لّما شبقتني، أي: إلهي إلهي لماذا تركتني؟" (مز ٢١:١، مر ١٥:٣٤)[٥٠]. بهذا دَخَلَ يسوعُ في سُلالَةِ مؤمنيّ العهدِ القديمِ الَّذينَ كانوا يَلتَفتون إلى الله ساعةَ الموت.

يتّضح من بعضِ نصوصِ العَهدِ الجديدِ أنَّ يسوعَ تَحَمَّلَ مصيرَهُ كإنسانٍ قابلٍ للموتِ، فَسارَ في الطريقِ الَّذي سَلَكَهُ الشُّهداءُ الأبرارُ الَّذين كانوا قبلَهُ.

كان الرَّبُّ يسوعُ المسيحِ مُخْلِصاً لرسالتِه النَّبَويَّة، مُتَقَبِّلاً بوعيٍ وشجاعةٍ ما ثارَ عليه من عُنفٍ ، ولكنّه بالمقابلِ جَعَلَ من موتِه حَدَث الأزمنةِ الأخيرة[٥١]، كونَهُ هو الطريقُ والحقُّ و القيامةُ والحياة .

إنّ تعقيبَ الرّبِّ يسوع على تَسْمِيَةِ الله لنفسه بإله إبراهيمَ وإسحقَ ويعقوبَ بأنَّه ليس إلهَ أموات (لو ٢٠:٣٧) هو تأكيدٌ ليس فقط على القيامةِ من بين الأموات، بَلْ على وجودِ إبراهيمَ وإسحقَ ويعقوبَ أحياءً بطريقةٍ ما.

---

47 خضر، المطران جورج : المرجع السابق ، صفحة ٢٣.

48 بوبِّي ، جان: الله أبونا (الكشف عن الله الآب والصلاة الرّبّية) ، ترجمة الأب بيوس عفّاص ، صفحة ٣٧ و٣٨.

49 بريانشانينوف، القديس إغناطيوس: المرجع السابق، صفحة ٣١.

50 غُورغ، الأب ميشيل : المرجع السابق، صفحة ٨٠.

51 مرشدور، ألان : المرجع السابق، صفحة ٤٦.

أمّا الأمثالُ الّتي كان يُعطيها الرّبّ، كمَثَلِ لعازر والغنيّ وما يجري بينهما مِن حوار، هي توضيح من السيّد أنّ جميع الأموات هم في الهاوية " آذِس"، وهم في حالةِ وعيٍ تامّ، وإنما المفارقة تكون بعزاء الأبرار وعذاب الأشرار.

على أثر قيامة الرّبّ يسوع المسيح من القبر ثَبــُتَ اليقينُ بأنَّ مصير الأموات لم يعُد مستتِراً ومجهولاً كالمفاهيم السابقة. وسنتوقّف قليلاً عند كتابات الرَّسول بولس، لِما فيها من غِنىً، خاصة لنلقي ضوءاً على الرؤيةِ الرَّسوليةِ للموت بعدما تمَّ الحدثُ الأعظمُ والفريدُ في تاريخِ البشريةِ جمعاء، ألا وهو "قيامة الرّبّ يسوع المسيح من بين الأموات". كتب الرَّسول بولس رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي لينزع عنهم الحُزنَ: "ثمَّ لا أُريد أن تجهلوا أيــُّها الإخوة من جهة الراقدين (مصير الراقدين)، لكي لا تحزنوا كالباقين الّذين لا رجاء لهم، لأنَّه إن كنّا نؤمنُ أَنَّ يَسوعَ ماتَ وقامَ، فَكَذلك الرّاقِدونَ بِيَسوعَ سَيُحضِرُهُم اللهُ أيضًا مَعَه" (١تس ٤:١٣).

في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، شدّد بولس على الرباط بين قيامة المسيح وقيامة الأموات، فقيامة المسيح هي التّأكيد الواضح والثّابت والدّليل القاطع على قامة الأموات، وذكّر بأن قيامةَ المسيح لا معنى لها "إن لم يكن للأموات من قيامة" (١كو ١٣: ١٥). لا بل سيكون هذا نوعٌ من التّشكيك بقدرة الله، فيكون الرَّسول شاهدَ زورٍ على ذلك: "إن كان المسيحُ يُكرز به أنَّه قام من الأموات فكيف يقول قومٌ بينكم أن ليست قيامة أموات؟ فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قامَ فباطلةٌ كرازتنا وباطلٌ أيضاً إيمانُكم، ونوجد نحن شهودَ زورٍ لله، لأنَّنا شهدنا من جهةِ الله أنّه أقام المسيح وهو لم يُقمهُ إن كان الموتى لا يقومون ، لأنَّه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام... ولكن الآن قد قام المسيحُ من بين الأموات وصار باكورة الراقدين" (١كو ١٥:١٢–٢٠). ويوازي بولس في هذه الرسالة بين آدم والمسيح: "فإنّه إذ الموت بإنسانٍ بإنسانٍ أيضاً قيامة الأموات، لأنَّه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع"(الآية ٢٢)[٥٢].
القيامةُ محققة بقيامة المسيح. ولكن هذا لا يعني أنّ الموت لم يعُد له من وجود، بل هو أصبح بدون أيّ قدرة على التّملّك والتّسلّط وإن كان هو "آخر عدوّ يُبطل" (الآية ٢٦)؛ فالغلبة عليه تمّت بموت المسيح وقيامته، وبهذا أُبطِلَت سلطته: "ابتُلع الموت إلى غلبة، أين شوكتك يا موت؟ أين غلبَتُك يا هاوية؟ ... لكن شكراً لله الّذي يُعطينا الغلبة بربّنا يسوع المسيح" (١كو ١٥:٥٤ – ٥٧). في رسالته إلى أهلِ فيليبي يُعبِّر الرَّسول بولس بنبرة جديدة عن شعوره بأنّه أصبحَ غريباً عن الأمور الأرضيّة: "فإنَّ سيرتَنا نحن في السَّموات الّتي منها أيضاً ننتظرُ مخلِّصاً هو الرّبّ يسوع المسيح" (في ٣:٢٠) .
من هذا المنطلق أصبح الموت بالنسبة لبولس معبراً إلى ما يتوق إليه ويشتهيه، لأنَّ محبّة المسيح امتلكت كلّ كيانه: "الآن يتعاظم المسيح في جسدي سواءٌ كان بحياةٍ أو بموت، لأنَّ لي الحياة هي المسيح والموت هو ربحٌ لي ... لي اشتهاءٌ أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جدّاً" (في١:٢٠–٢٣) لكنَّ الاشتراك في قيامة المسيح هو نتيجة التّشبّهِ بالمسيحِ وَالالتصاقِ بِهِ لا فلسفيّاً بل عمليّاً، عبرَ الاشتراكِ بصليبِ المسيح، عبرَ موتِ الصَّليب، إشتراكاً

[52] المرجع نفسه، صفحة ٥٢.

عمليّاً، أيْ بأنْ يكونَ الإنسانُ على نفس السّيرة الّتي سلكها المسيح، ألا وهي إفراغُ الذّاتِ والتّواضعُ حتّى الموت[٥٣].

بحسب القدّيس بطرس، ذهب الرّبّ يسوع إلى الجحيم بعد موته على الصّليب، ليكرز للأرواح الّتي في السجن (١بط ٣:٩). ويوضح هذا الرّسول أنّه "لأجل هذا بشّر الموتى أيضاً، لكي يُدانوا حسب الناس بالجسد، ولكن ليحيَوا حسب الله في الرُّوح" (١بط ٤:٦)، وبالتّالي بنزول المسيح إلى الجحيم عاشت نفوس التّائبين من جديد بنعمة المسيح الفدائية، وبهذا بدّل الرّبُّ وقلبَ الجحيمَ فردوساً يَتَذوّقُهُ كلُّ الأبرار.

الرّسول الإنجيليّ يوحنا في كتاباته يوضح أن الكلمة الإلهيَّة الّذي صار جسداً وحلَّ بيننا ورأينا مجده مجد الإبن الوحيد ، الكائن، الّذي هو في حضن الآب قد ارتعشت نفسُه أمام قبر لعازر (يو ١١:٣٣-٣٨)، واضطرب أيضاً أمام آلآمِ الموتِ وابتهل إلى الله الآب أنْ يُنَجّيه مِنْ تلكَ السّاعة (يو ١٢:٢٧). ولكنَّه قَبِلَ في النهاية هذه الكأس المُرَّة (يو ١٨:١١). ولكنّه في مواجهته للعدوّ القديم للجنس البشريّ انتصرَ عليه في عُقْرِ دارِه ،كونَهُ القيامةَ والحياة، في اللحظةِ الّتي كان يبدو الموت فيها أنّه قد هزمه. ونزل إلى الجحيم بكلِّ سلطان ليُخرجَ منه مَن شاءَ؛ إذ "بيَدِه مفاتيحُ الموتِ والجحيم" (رؤ ١:١٨)[٥٤]. وأعطى سلطان الغلبة لكلّ من يؤمن به وبكلامه. فَمَنْ آمَنَ بِه "وإن مات فسيحيا"(يو١١:٢٥). وأضحى الثموت موضوعَ تطويبٍ "طوبى للأموات الّذين يموتون في الربّ منذ الآن "فإنّهم يستريحون من أتعابهم وأعمالُهم تتبعُهم" (رؤ١٤:١٣). وحينئذ سيدخل المؤمنون به في عالمٍ جديد حيث "لم يبق للموت وجود"(رؤ ٢١:٤).

رأى الآباء القدّيسون في الحرّية مصدراً لكلِّ خيرٍ أو شرٍّ يصير للإنسان، وكلُّ الأمور الصّالحة هي بالنهاية ما يشاؤه الله ويرضى عنه، أما الشرور فهي أبعد ما تكون عن مشيئته لا سابقاً ولا لاحقاً؛ لأنَّ الأمور الأولى تؤول إلى التّمتّعِ بصلاح الله وبملكوته، لأنَّ الخالق لم يخلق البشر للعقاب بلّ للحياة، كما يقول الدّمشقيّ يوحنا[٥٥].

القدّيس مكسيموس المعترف يقول: في إدانة خطيئة آدم الّتي اختارها بحرّية نُبصر طبيعته عُرضةً للهوى والفساد والموت. هذه الحالة لم يُحدثها الله ولا كانت شيئاً ما قد امتلكه الإنسان في البداية؛ إنّما الإنسان بنفسه أحدثها ووصل إلى معرفتها عندما، من خلال عصيانه، أتى إلى الوجود بالخطيئة المختارة بحُرّية. إنّ إدانته حتى الموت هي بوضوح نتيجة هذا" [٥٦].

الحالة الطبيعيّة للإنسان، بحسب القدّيس بالاماس، هي حالة ما قبل السقوط، وهذا يعني حياة الشركة مع الله ، ولهذا خُلِق الإنسان. ولكن بعد السقوط أصبحت حالُه مخالِفَةً للطبيعة، أو معاكسةً للطبيعة. يكتب القدّيس غريغوريوس: "بعد تَعَدّي جَدَّينا في الفردوس... دَخَلَت الخطيئةُ إلى الحياة، وصرنا أنفسُنا موتى؛ وقبل موت الجسد فإننا نعاني من موت النَّفس، أيِ انفصالَ النَّفسِ عَنِ الله"[٥٧].

---

53 نصير ، ميشال: أهمّيّة الصّليب في رسالتَي القدّيس بولس إلى فيليبي وغلاطية ، صفحة ١٠ و١٧.

54 مجموعة من المعرّبين : معجم اللاهوت الكتابي ، المرجع السابق ،صفحة ٧٨٤- ٧٨٦.

55 الدمشقي، القدّيس يوحنا: المرجع السابق، صفحة ١٤٢.

56 طرابلسي، د. عدنان : وسقط آدم (لاهوت الأقمصة الجلديّة)، صفحة ٣٦.

57 المرجع نفسه، صفحة ٤٥.

لا يختلفُ الآباءُ عن الكتابِ المقدّسِ في التّشديدِ على وحدةِ الجنسِ البشريّ. يقول القدّيس غريغوريوس بالاماس: "كَونَ أنَّ آدمَ أصلُ جنْسنا، فإنّه أنتَجَنا نحن الأغصانَ المائتة... وهكذا بسبب خسارتنا التّشبّهَ بالله بالسقوط، صار الجنسُ البشريُّ عاجزاً عن أنْ يلدَ سوى كائناتٍ ذاتِ طبيعةٍ فاسدةٍ مريضة... صار عاجزاً أنْ يَلدَ كائناتٍ مشابهةً لله، بل مشابهةٌ لنفسه، تَشيخُ وتكونُ عرضةً للفساد "[58]، ولكن في الوقتِ عينهِ يؤكّدونَ أنَّ ما ورِثَهُ الإنسانُ من الجدَّين الأولين لم يكن المسؤوليةَ الشخصيّةَ لخطيئتهما، بل كان الموت، أو بشكلٍ مختصرٍ فسادَ الطَّبيعة البشريةِ الَّتي أودَتْ بالنّسلِ البشريّ إلى دائرةٍ معيّنةٍ من الخطيئةِ والموت.

وكذلك ركّز الآباءُ على أنَّ الموتَ الرُّوحيّ هو أساسٌ للموتِ الجسديّ. لا بل أيضاً يَرَونَ تشابهاً بين الموتِ الأوّلِ والثّاني، فعندما تتركُ النَّفسُ الجسدَ فإنَّهُ يموت؛ وبالطريقةِ نفسِها، عندما يتركُ اللهُ النَّفس، فإنَّها تموت. هذا مَعَ الإشارَةِ إلى أَنَّ المَوتَ الثّانيَ هُوَ بمعنًى آخَر، غَيرِ الفَناءِ والعَودَةِ إلى العَدَمِ أوِ اللاوُجُود. وهذه المفارقة يسمّيها القدّيس غريغوريوس بالاماس "الموتُ الأبديُ للنفسِ غيرِ المائتة". ويوضحُ هذا القدّيس أنَّ الله ليس هو سببَ الموتِ، وهو، تاليًا، لم يخلقِ الإنسانَ ليموتَ، فالله بالنسبةِ إليه "ليس فقط لم يَخلُقِ الموتَ، بل مَنَعَهُ من أنْ يُوجَد"[59].

القدّيس غريغوريوس النّيصَصيّ، في شرحه لسفرِ التّكوين، يَتَحَدَّثُ عَنِ الأقمصَةِ الجلديَّةِ الَّتي ألْبَسَها اللهُ للإنسان فيقول: "ذلك القميصُ المائتُ الكَريهُ الَّذي به التَحَفنا، المَصنوعُ مِنْ جلدِ الكائناتِ غيرِ العاقلة... عندما أَسمَعُ كَلِمَةَ جلدٍ فإنّها تَنقُلُ إليَّ شَكلَ الطَّبيعَةِ غَيرِ العاقِلَة، الَّتي بها صِرنا مُلتَحِفينَ... حَياةَ البُلوغِ، الشَّيخوخَة، الموت"[60].

إذًا، الموتُ بالنِّسبَةِ للآباءِ القدّيسينَ هوَ دَخيلٌ على الإنسان، والخَطيئَةُ حَمَلَت مَعَها خَصائصَ جَديدَةً للطَّبيعَةِ البَشَريَّة. إنَّها خاصيّة الطَّبيعَةِ غَيرِ العاقلَة، حياة مادّية تمتاز بتركيبٍ فظٍّ وثقيل، وتؤدّي إلى الموت. ولكنْ، مع هذا كلِّه فإنَّ الموت الَّذي أدخلَتْهُ الأقمصةُ الجلديّةُ إلى حياة الإنسان، قد جعل الشَّرَّ أيضًا مائتًا، وهنا تَظهَرُ رأفة الله . قالَ القدّيسُ غريغوريوسُ اللاهوتيّ في ذلكَ: "...وهكذا صارَ آدمُ مَنفيًّا للحالِ منْ شَجَرَةِ الحَياةِ ومِنَ الفِردَوسِ ومِنَ الله، منْ خلالِ الخَطأ الَّذي ارتَكَبَهُ، ولَبسَ الأقمطَةَ الجلديَّةَ... وبالتّالي اختَبر للمَرَّةِ الأولى العارَ واختبأ عَنِ الله. مع ذلك، نتيجةً لهذا، فقد اكتسبَ شَكْلَ الموتِ الَّذي استأصَلَ الخَطيئَة. وهكذا يمنع الشَّـــرّ منْ أنْ يَصيرَ عَادمَ الموتِ. هكذا تَصيرُ العَقوبَةُ عَمَلَ رَأفَةٍ. هكذا هِيَ الطـــريقَةُ الَّتي بها يُعاقبُ اللهُ كما أعتَقد"[61].

الموت والقابلية له، هو حالة جديدة، إنّها على حسب تعبير القدّيس النّيصَصيّ "الحياة في الموت". الحياة تستمرّ في الإنسان طالما الموت مؤَجَّل، فالحياة تحوّلت بعد السقوطِ إلى البقاءِ على قيدِ الحياة .

حتّى هذا الموت، بحسب قول القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ، يستطيع الإنسانُ التّخلّصَ منه إن عاد والتصق بنعمة الله وبالكلمة المُعين يسوع المسيح نفسه الأزليّ، نبعِ الخلود ونبعِ الحياة، صورةِ الجمال الأوّل. وحين يلبس الإنسانُ المسيحَ أو حين يأخذ الرّبُّ يسوعُ جسدَ البشر، حينَها يجعلُه المسيحُ خالداً [62] .

---

[58] المرجع نفسه، صفحة و ٤٦و٤٧.

[59] المرجع نفسه، صفحة ٤٦.

[60] المرجع نفسه، صفحة ٥٤.

[61] المرجع نفسه، صفحة ٥٩.

[62] مختارات من القدّيس غريغوريوس اللاهوتي النزينزي، المرجع السابق،صفحة ١٨١.

❖ تَعليمُ الكتابِ المُقدّسِ والآباءِ عَن مَلكوتِ السَّمواتِ أَو الحَياةِ الأَبَدِيَّة :

اللهُ حَيٌّ ، وكُلُّ حَياةٍ تَأتي مِنْ عِندِ اللهِ، ولكن كَما رَأينا فَإنَّ نَسَمَةَ الحَياةِ الخاصّةَ بالإنسان صَدَرَتْ مِنَ اللهِ بطَريقَةٍ خاصَّة، فَهوَ كَما سَبَقَ وقُلنا ، قَدْ نَفَخَ في أَنفِهِ نَسَمَةَ حَياة (تك ٢:٧). هذه النَّسَمَةُ يَستَرجِعُها اللهُ لَحظَةَ مَوتِ هذا الإنسان (أي ٣٤:١٤و١٥). وقد أَوضَحنا سابقًا أَنَّ اللهَ لَمْ يَخلق الإنسانَ للمَوتِ ولكن للحَياة، وقَد خَصَّصَ لَهُ الفِردَوسَ الأرضيَّ وَشَجَرَةَ الحَياةِ الَّتي كانت كَفيلَةً بأنْ تَجعَلَهُ يَحيا إلى الأَبَد (تك ٣:٢٢). وبالرُّغمِ مِنْ أَنَّ هذهِ الحياة تَتمُّ كُلُّها على الأرض، إلاّ أنّها لا تَتَغَذّى أَولاً بخيراتِ الأرضِ، بَلْ بالتَّعَلُّقِ باللهِ كَونَهُ "ينبوع الماء الحيّ" (إر ٢:١٣ و ١٧:١٣) وينبوع الحياةِ (مز ٣٦:١٠). وهذا ما ارتكز عليه أنبياء العهد القديم في تعليمهم[٦٣].

إنّ جنّةَ عدنٍ الَّتي طلبَ الرّبُّ من آدمَ أنْ يعمَلَها ويحفظَها (تك ٢:١٥) هي صورةٌ كتابيّةٌ عن الفردوسِ الَّذي تَصوَّرَهُ كُتّاب العهد القديم، بمعنى أنَّ هذا الفردوس هو مكانُ إقامةِ اللهِ، وحيث يَسْكُنُ الإنسانُ بمعيّةِ اللهِ، وحيث كلُّ شيءٍ متوافر وكلُّ شيءٍ فيه هو حَسَنٌ (تك ١:٢٥)، ويكون الإنسان بمأمنٍ من الشرِّ والشقاءِ والموتِ وفي سلامٍ مع الخليقةِ كُلِّها[٦٤].
بالطبع إنَّ فكرةَ المَلكية أو "يهوه– الملك" لم تظهر منذ بداية العهد القديم، وإنّما بعد استقرارِ إسرائيلَ في كنعان بدأ التّشديد على أنَّ اللهَ يملك إلى الأبد (خر ١٥:١٨) في السماء وعلى الأرض (مز ٤٧:٣)، وكذلك في الكونِ كلِّه الَّذي خَلَقَهُ (مز ٩٣:١). ولكن حتّى هذا التّصوّر لُملك اللهِ ولملكوتِهِ لم يَخْلُ من التّصوّرِ البشريّ المحدودِ والممزوجِ بالصُّوَرِ الآنيّة، المادّيّة، المتأتيّةِ من الواقعِ المُعاش[٦٥]، ومترابطة مع صورةِ المَلكِ الأرضيّ[٦٦].

منذ انهيار المَلَكيَّةِ عندَ الشعبِ العبراني، ولا سيّما في فترةِ نهايةِ السَّبي، احتَلَّ موضوعُ مُلكِ اللهِ أهميّةً عظمى وأصبحَ التّركيزُ على أنَّ "اللهَ يملُك"(إش ٥٢:٧) وهو المحورُ الأوّلُ والوعدُ المنشود، وأصبحت الشعائرُ الدّينيةُ

---

63 مجموعة من المعرّبين : معجم اللاهوت الكتابي ، المرجع السابق، صفحة ٢٨٧و ٢٨٨.

64 بندلي كوستي :كيف نفهم اليوم قصّة آدم وحواء؟، صفحة ٥٨.

65 إن الوقوف عند هذا الحدّ المادي من التصوّر لملكوت الله ما زال يَسْري في بدَعٍ وهرطقات معاصرة . لمزيد من التفصيل راجع : عبدالله ، ثريّا جرجس : الملكوت والمجيء الثّاني في بدعة شهود يهوه ، رسالة لنيل إجازة في اللاهوت (لم تُنشَر)، إشراف الأب جورج عطيّة، البلمند ، ١٩٩٢.

66 لم يؤلِّه إسرائيل ملوكَهُ قط، بخلاف ما جرى لشعوبٍ أُخرى، ومع ذلك فهؤلاء الملوك يصبحون أبناء الله ، بمعنى خاص، يوم تنصيبهم. راجع: شربنتييه، الأب اسطفان: دليل إلى قراءة الكتب المقدّس، ترجمة الأب صبحي حموي اليسوعيّ ، صفحة ١٠٢.

تَتَغَنّى مُسْبقاً بملكوتِ اللهِ في الأزمنةِ الأخيرةِ [67]، حيث مُلك الله سيكون عالميّاً شاملاً مُعتَلناً في الدّينونةِ الإلهيَّة (مز٤٧و٩٦).

إنَّ إشعياءَ النّبي تناولَ الصُوَرَ الدّنيويةَ نفسَها ولكنّه جعلَها في إطارِ المستقبل، بمعنى أنَّ ملكوتَ اللهِ ليس خَلْفَ الإنسانِ ووراءَه بل هو في الأمامِ[68]. في هذا الملكوت سيكونُ السلامُ مماثلاً لما كان في عدن، "سيكون الذئبُ مع الخروفِ ويربضُ النَّمرُ مع الجَدْيِ والعجلُ والشِّبلُ والمسَمَّنُ معاً وصبيٌّ صغيرٌ يَسوقها. البقرةُ والدّابّةُ تَرعَيان، تربضُ أولادهما معاً والأسدُ كالبقرِ يأكلُ تبناً، ويلعبُ الرَّضيعُ على سربِ الصِّلِّ ويَمدُّ الفطيمُ يَدَهُ إلى حُجرِ الأفعوان، لا يسوؤون ولا يفسدون... ويكون في ذلك أنَّ أصلَ يسّى القائمِ رايةً للشعوبِ إيّاهُ تَطلبُ الأممُ ويكون محلُّه مجداً"(إش١١:٦ – ١٠)، ولا يعود من موقعٍ للمرضِ ولا للحزن. "حينئذٍ تتفتّح عيونُ العُمي وآذانُ الصُّمِّ تتفتّحُ، حينئذٍ يقفزُ الأعرجُ كالأيّلِ ويترنَّمُ لسانُ الأخرسِ ... ومَفديّو الرّبِّ يرجعون ويأتونَ إلى صهيونَ بترنّمٍ وفرحٍ أبديٍّ على رؤوسِهم، إبتهاجٌ وفرحٌ يدركانهم ويَهرُبُ الحُزنُ والتّنهّد" (إش ٣٥:٥–١٠).
في فترةِ رؤيا دانيال، في زمنِ اضطهادِ أنطيوخس أبيفانس، نرى تجديداً للوعود النبويّة ومقولةً بأنَّ ملكوتَ اللهِ المُطلَق سيرتَفِعُ على أنقاضِ الممالكِ البشريّة (دا ٢:٤٤) وابن الإنسانِ سيأتي على السَّحابِ كديّان، لينقضَ وحوشَ القوى السّياسيَّةِ على الأرض (دا ٧) فيُعطى بهذا النصرِ المُلكُ إلى الأبدِ له وإلى مَن معه ممَّن يقدِّسون الله العليّ (دا ٧:١٤ و٢٧). ويُردِّدُ سفرُ الحكمةِ أنَّ الأبرارَ بعدَ الدّينونةِ "سيحكمونَ الأممَ، ويسودونَ الشعوبَ، فيملكُ ربُّهم إلى الأبد" (حك ٣:٨).

هكذا بعد مضيّ قرون من الإعدادِ أصبحَ الإنسانُ اليهوديُّ المؤمنُ يحيا في انتظارِ الملكوت، مدركاً أنَّ تلكَ الوعود هي حقيقةٌ باطنيّة، دون أنْ ننسى أنَّ هذا التّطلّع إلى الملكوتِ كثيراً ما كان يتجسّمُ بصورةٍ سياسيّةٍ عند الكثيرِ من المعلّمينَ للشريعةِ ، حتّى زمنِ الرّبِّ يسوع[69].

الرّبُّ يسوع يُخصِّصُ المكانَ الأوّلَ لكرازتِه لملكوتِ الله، لملكوتِ السَّموات، ويقول إنَّ إفتتاحَ الملكوت، الّذي قيل عنه في العهد القديم، قد تحقّق بتجسّدِ ابنِ الله، يسوع المسيح، هذا ما أعلنه الرّبّ نفسه حين فسّر لسامعيه النصَّ الّذي تلاهُ عليهم من سفرِ النبّي إشعياء (الإصحاح ٦١): "فدُفع إليه سفر إشعياء النبيّ، ولّما فتح السِّفْرَ وَجَدَ الموضعَ الّذي كان مكتوباً فيه: روحُ الرّبِّ عليَّ لأبشِّرَ المساكين أرسلني (لأشفيَ منكسري القلوب) لأناديَ للمأسورينَ بالإطلاقِ وللعُمي بالبصرِ وأُرسلَ المنسحقين في الحُرّية وأكرزُ بسَنَةِ الرّبّ المقبولة. ثمَّ طوى السِّفرَ وسلَّمَهُ إلى الخادمِ وجلس. وجميع الّذين في المجمع كانت عيونهم شاخصةً إليه. فابتدأ يقول لهم إنَّهُ اليومَ قد تَمَّ هذا المكتوبُ في مسامعكُم"(لو ٤:١٦–٢١).

---

[67] مجموعة من المعرّبين : معجم اللاهوت الكتابي ، صفحة ٧٧١.
[68] شربنتييه، الأب اسطفان: المرجع السابق ، صفحة ٤٠.
[69] مجموعة من المعرّبين : معجم اللاهوت الكتابي ، صفحة ٧٧١.

في رَدِّ الرّبِّ يسوع على تساؤل يوحنّا المعمدان تأكيدٌ أيضاً أنّه به حَضَرَ ملكوتُ الله: "أمّا يوحنّا فلمّا سَمِعَ في السِّجنِ بأعمالِ المسيح أَرسلَ اثنينِ من تلاميذِه وقال له أأنتَ هو الآتي أم ننتظر آخر؟ فأجابَ يسوعُ وقال لهما اذهبا وأخبرا يوحنّا بما تسمعان وتنظُران: العُمي يُبصرونَ والعُرجُ يمشونَ والبُرصُ يُطهَّرون والصُّمُّ يسمعونَ والموتى يقومونَ والمساكين يُبشَّرون. وطوبى لمن لا يعثر فيَّ" (مت ١١:٢-٦).

"ولكن إن كنتُ أنا بروحِ الله أُخرجُ الشياطين فقد أَقبَلَ عليكُمُ ملكوتُ الله" (مت ١٢:٢٨).

إنَّ المعجزات الّتي قام بها الرّبّ يسوع هي علامةٌ لحضورِ الله ولملكوته، "الله معنا" "عمّانوئيل" بيسوع المسيح. هذا لم يكن يعني بالنسبة له أنَّ الملكوتَ قد تمَّ بالكلّية، بَلْ يعني أنّ الملكوتَ ابتدأ الآن، هو حاضرٌ الآن. إنَّه المعيّةُ مع الله، ولكنّه أيضاً أُخرويٌّ سيكتَملُ في الأيامِ الأخيرة، وعلى الإنسان أنْ يستجيبَ لدعوةِ الآبِ بالتّوبةِ وأن يُحدِّد موقفَهُ من عملِ الله الخلاصيّ[٧٠] .

إنّ ملكوتَ الله حقيقةٌ سرّيةٌ لا يقدرُ أحدٌ أن يخبّرَ عن طبيعَتِها إلاّ الرّبّ يسوع وحده. لكن حتى إعلان هذه الحقيقة منوطٌ أيضاً بمن يَستطيعُ أن يَفهمَ ما يُعلنه الرّب عنها. لذا فهو لم يكشف طبيعةَ الملكوتِ إلاّ للمتواضعين والصِّغار، للقطيعِ الصَّغير، وليس لحكماءِ هذا الدّهرِ وعلمائه (مت ١١:٢٥)[٧١]. وقد عبَّر الرّبُّ عن هذا الملكوتِ من خلالِ صُوَرٍ وأمثالٍ ورموزٍ إذ لا بُدَّ من ذلك للإشارةِ إلى ما لا يُستطاع التّعبير عنه لا بالفكرِ ولا بالخيال[٧٢].

أضاء الرّبُّ يسوعُ الصُّوَرَ الّتي كانت منتشرةً في عصرِه عن ملكوتِ الله وأوضَحَ من خلالِ أمثاله أنَّ هذا الملكوت ليس حكراً على شَـــعْبٍ من الشُّعوب إنّما هو ملكوتٌ قويٌّ يَضُمُّ كلَّ شعوبِ العالمِ (مَثَلُ حبّة الخردل ومَثَلُ الخميرة في مت ١٣:٣١-٣٣)[٧٣]، ويضُمُّ الأبرارَ والصِّدّيقينَ كإبراهيمَ أبي الآباءِ وغيرِه، بالإضافة إلى الكثيرينَ ممَّن كانوا محسوبين من قِبَلِ الناسِ خارجَ هذا الملكوت. وبالعكس أيضاً فَممَّنْ كانوا يُعتَبَرون من قِبَلِ الناس أهلاً سيُطرحون خارجاً "وأمّا بنو الملكوت فيُطرحون خارجاً" (مت٨:١١-١٢). ويتسربلُ كلُّ أبناءِ الملكوتِ بثوبِ الخلاصِ البهيِّ الّذي يُلبسُهُ الله للمُخَلَّصين (مَثَل وليمةَ العرس في مت ٢٢:١١-١٣)[٧٤]. إنَّ مَلَكوتَ الله وليمةٌ ، مائدةٌ مُعَدَّةٌ " لتأكلوا وتَشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كَراسي تَدينونَ أسباطَ إسرائيل الإثني عشر" (مت ٢٢:٣٠)، مادَّتـــُها الأساسيَّةُ ليس طعاماً وشراباً مادِّيَين بلّ هو برٌّ وسَلامٌ وفَرَحٌ في الرُّوحِ القُدسِ (رو ١٤:١٧)؛ وذلك لأنَّ طبيعَةَ السّاكنينَ مُختَلفَةٌ عن الطَّبيعة المادّية الصَّرْف: "إنَّ اللّحمَ والدَّمَ لا يَستَطيعان أَنْ يَرِثا ملكوتَ الله" (اكو ١٥:٥٠)، وإنَّما مواطنو الملكوتِ هُم في حالةِ تَسْبيحٍ دائمٍ "كملائكةِ الله في السَّموات" "لا يزوِّجون ولا يتزوَّجون" (مر ١٢:٢٥).

الملكوتُ السّماويُّ ليسَ مَكاناً لطَعَماتِ الملائكة فَقَط بل للبَشَرِ القدّيسين أيضاً، يقول القدّيس غريغوريوس بالاماس:

---

[70] بندلي، كوستي : أمثال الملكوت ،صفحة ٣٣و ٤٨و٨٣ .

[71] مجموعة من المعرّبين : معجم اللاهوت الكتابي ، صفحة ٧٧٢.

[72] بندلي،كوستي : المرجع السابق ، صفحة ٩٢ .

[73] المرجع نفسه، صفحة ٦١و٦٦ .

[74] المرجع نفسه، صفحة ١٠٥.

"إن قال لكُمُ السّـــيّدُ إنّ ذلك النورَ هو ملكوتُ الله؛ فاسمعوا له، وآمنوا به، واجعلوا أنفسَكُم أهلاً لذلك النور... في هذا المجد وهذا الملكوت، لا يشترك الملائكةُ، بل والقدّيسون من الناسِ أيضاً. الآبُ والابنُ لهما هذا المجدُ بالطَّبيعة، وأمّا الملائكَةُ والبَشَرُ والقدّيسونَ فَيَحْصَلونَ عليه بالنِّعمَة الَّتي يأتي منها الإشراقُ "[٧٥] .

ويَقولُ أيضاً في مكان آخر حولَ حادثَة التّجلّي: "... غيرَ أنَّ ما أشرقَ قد تَبَيَّنَ أنَّه غير مخلوق، وأنّه يُدعى مَلَكوتُ الله. والحالُ أَنَّ مَلَكوتَ الله غير مخلوق، الَّذي لا يُسادُ عليه، ولا يُغلبُ، يفوقُ الزّمان والمكان؛ فغيرُ صحيحٍ، تالياً، القول بأنّه ابتدأ في زمنٍ مُعيَّن. فنحنُ نعتقدُ بأنّ ملكوت الله إنّما هو ميراثُ المُخَلَّصينَ "[٧٦].

القدّيسُ يوحنّا الذَّهبيّ الفمِ يُعطي صورةً عن حالةِ الأبرارِ الَّذينَ أَحَبّوا المسيحَ، وعن الملكوتِ الَّذي سَيَكونون فيه نَتيجَةً لتَضْحياتِهم من أَجْله، فيقولُ في مَديحِه للشُهَداءِ القدّيسين:

" ما هي تلكَ الجوائزُ الموعودة؟ إنَّ الكلامَ يعجزُ عن التّعبيرِ " ما لم ترهُ عينٌ ولم تسمع به أُذُنٌ، ولم يخطرْ على بالِ إنسان، ما أعدّهُ الله للذينَ يحبُّونه" (١كو ٢:٩). لم يُحبّهُ إنسانٌ كما أحبّهُ الشُّهداء. سنحاول أن نكشفَ عن الغبطةِ الَّتي تنتظرُهم هناك، الَّتي وحدهم سيعرفونها بجلاءٍ، وسيتمتّعون بها حقًّا ... بعد تحرُّرهم من هذه الحياة، يَصعدون إلى السَّموات، تَتَقَدَّمُهُم الملائكةُ، ويُحيطُ بهم رؤساءُ الملائكة. يُميِّزونهم عن سائرِ البَشَرِ، لأنّهم يستحقّونَ التّمييزَ بما أنّهم فَضَّلوا أنْ يُعانوا كُلَّ شيءٍ من أجلِ المسيحِ ربِّهم... الملائكةُ والقوّاتُ السّماويّةُ كُلُّهم يتقاطرون من كُلِّ مكان، لكي يُشاهدوا جراحاتِهم... ويقودونَهُم بعد ذلك بموكبٍ كبيرٍ إلى مملكةِ السَّموات، إلى ذلك العَرْشِ المُتلىءِ مجداً كثيرًا، حيثُ الشّاروبيمُ والسّارافيمُ ... لذا يتقبلُهُم السّـــيّدُ، ويَتَمتّعون بذلك المجد. يَشْتَرِكون في تلك الأجواق، وفي التّسابيحِ السّرّيـــّة ، وقد كانوا يَشْتَركون بمثلها وهُم بالجسد، عندما كانوا يتناولون الأسرار المقدّسة ... فَهُم يَشْتَرِكونَ بدالَّةٍ أَكْبَر في ذلك المجد" [٧٧].

القدّيسُ نيقوديموسُ الآثوسيّ يُعلّقُ على حَدَثِ اختطافِ بولسَ الرَّسول إلى الفِردَوسِ بقوله: "كُلُّ فهمٍ بشريٍّ يَتَعَطَّلُ في الأمورِ الإلهيَّة عندما يُخطفُ الذِهْنُ، النوسُ، من الله فَيَبْدأ اللهُ بالعَمَلِ إلى ما يُريدُ ويشاءُ، والجديرُ بالذِّكرِ أَنَّ في تلكَ الأماكنِ الفائقة العالَمِ الَّتي للثالوثِ القدّوسِ درجاتٌ ومَصاعدَ عُلْيا وسُفلى. لذلك اختُطفَ بولسُ الرَّسول أَوَّلاً إلى السّـــماءِ الثّالثَة، بعدها إلى الفردوس، وصَعدَ إلى رؤىً وإعلاناتٍ أَكثَرَ سرِّيةٍ وأكثَرَ عُمقاً للألوهَةِ الفائقَةِ والَّتي كُلّها لا يَعْلَمُها الذِهْنُ، النُّوس، ولا يَنْطقُ بها. لا يُمْكُنُ لأحَدٍ أنْ يَسْتَوعِبَها إلاّ إذا خَرَجَ من طبيعَتِه البَشَرِيَّةِ وتواضُعِها وصَعِدَ إلى ما يَفوقُ الطَّبيعة بقوَّةِ الرُّوح القدس"[٧٨] .

---

[75] كلمات آبائيّة،الجزء السادس:أناجيل ورسائل الأعياد السّيّديّة والثابتة (شباط–آب)،دير مار ميخائيل،صفحة ٨٥٢– ٨٥٤

[76] المرجع نفسه، صفحة ٨٤٣ .

[77] المرجع نفسه، صفحة ٦٣٧ – ٦٣٨ .

[78] المرجع نفسه، صفحة ٧٣٠ – ٧٣١ .

❖ ماذا يَحصَلُ للإنسانِ بَعدَ المَوتِ ؟

١- للجَسَد

عِنْدَ الحَديثِ عن وَضْعِ الإنسان، إنْ مِنَ الناحيَةِ الجَسَديَّة أو الرُّوحيَّة، بَيْنَ الرُّقادِ واليَومِ الأخيرِ لا يوجَد بَحْثٌ مُسهَبٌ عن هذا الموضوعِ في العَهْدِ الجديد. إلاّ أنَّ بَعْضَ المقاطِعِ الكتابيَّة تُلْقي شَيْئاً مِنَ النّورِ عَلَيه. ولا بُدَّ مِنَ الأخْذِ بعَينِ الإعتبارِ بأنَّ الجوهَرَ الإنســانيّ يَستَمِرُّ بالوجودِ بعدَ الموتِ الجَســديّ. هذا الجوهَرُ الَّذي يُطلق عليه تَسْمِيَةَ "الرُّوح" هو بالواقعِ عُمقُ الشَّخْصِ الإنسانيّ ونواتُهُ وخُلاصَتُهُ. هذا الجوهَرُ لا تَنْطَبِقُ عَلَيه مَقاييسِ المكانِ الَّتي يَخْضَعُ لها كيانُنا المُتَجَسِّدُ الحاضر. مِنْ هُنا لا يَعودَ السُّؤالُ المَطروحُ "أينَ تَذْهَبُ أرواحُ الرّاقدينَ بَعْدَ الموت؟" وإنَّما "ما هي حالةُ الرُّوحِ بَيْنَ لَحْظَةِ الرُّقادِ ويومِ الدّينونة؟"[٧٩].

إنَّ كَلِمَةَ "حالــة" هي الكَلِمَةُ الَّتي استُخدِمَتْ في كُلِّ تاريخِ العَقيدَةِ المسيحيَّة، وتُفضَّلُ على كَلِمَة "مَكان" لسَبَبَين: أوّلاً لأنَّها تَتَجَنَّبُ الفِكْرَةَ الماديَّةَ المُرتَبِطَةَ بكَلِمَة "مَكان" دون التّخلّي عن حَقيقَةِ الكيان؛ وثانياً، لأنَّها تَتَجَنَّبُ فِكْرَةَ "البَيْتِ المُتَوسِّط" بَيْنَ هذا العالَمِ والعالَمِ الآتي[٨٠].

أمّا بالنسْبَةِ للجَسَد، فَيَبدو واضحاً أنّه عِنْدَما يَحُلُّ الموتُ بإنسان يَبْدأُ الجَسَدُ بالإنحلالِ الطَّبيعيّ. يَقولُ الكتابُ المُقَدَّسُ في ذلك: "لأنَّكَ تُرابٌ وإلى تُرابٍ تَعودُ" (تك ٣:١٩)، ويُضيفُ سِفْرُ الجامعَةِ قائلاً: "لأنَّ مَصيرَ بَني البَشَرِ هو مَصيرُ البَهيمَةِ ولها مَصيرٌ واحدٌ، فكما تَموتُ هي يَموتُ هو ولكِلَيهما نَفَسٌ واحدٌ[٨١]. فَلَيْسَ الإنسانُ أَفْضَلَ مِنَ البَهيمَةِ لأنَّ كُلَّ شَيءٍ باطل. كُلُّ شيءٍ يَذْهَبُ إلى مَكانٍ واحد. كان كُلُّ شَيءٍ مِنَ التُّرابِ وكُلُّ شيءٍ إلى التُّرابِ يَعودُ. مَنْ يَدْري هَلْ نَفَسُ بَني البَشَرِ يَصْعَدُ إلى العَلاءِ ونَفَسُ البَهيمَةِ يَنْزِلُ إلى الأسفَلِ إلى الأرض؟ "(جا ٣:١٩-٢١). ويُرْدِفُ كاتبُ سِفْرِ الجامعَةِ بلَهْجَةٍ أَقَلَّ تَشاؤماً:" لأنَّ الإنسانَ يَنْطَلِقُ إلى دارِ أَبَدِيَّتِه ... فَيَعود التُّرابُ إلى الأرضِ حَيثُ كان ويعودُ النَّفس إلى اللهِ الَّذي وَهَبَهُ" (جا ١٢:٥و ٧).

صَلاةُ الحَلِّ في خِدمَةِ الجَنّازِ تُعبِّرُ عَمّا يَؤولُ إليه جَسَدُ الإنسان وروحُهُ لحظَةَ الموت وبَعْدَهُ:"أيــُّها الرَّبُّ إلهُنا، يا مَنْ بحِكْمَتِه الَّتي لا توصَفُ خَلَقَ الإنسانَ من التّراب، وأَتقَنَهُ بمَنْظَرٍ وجَمال، وزَيَّنَهُ بمَنْزِلَة قنية سماوية مكرّمة بإبداعِه إيّاهُ على صورَتِه ومِثالِه، لتمْجيدِ مَجْدِه وبَهاءِ مُلْكِه. ولَمّا خالفَ أَمْرَهُ، وغَيَّرَ صورتَهُ ولم يَحْفَظْ وصيَّتَهُ،

---

[79] بندلي ، كوستي : الله والشّرّ والمصير، صفحة ٢٣٦.

[80] سمرز، راي : الحياة العتيدة أو ما وراء القبر ، تعريب القس يوسف قسطه ، صفحة ٨.

[81] كلمة "نَفْسٍ أو نَفَسِ" في الكتاب المقدّس تَحْمِلُ عِدّةَ مَعانٍ فهي تَدُلُّ أحياناً على : ١- الحياةُ المشتَركةُ بين جميعِ المخلوقاتِ الحيَّة بما فيها الإنسان، كالآيةِ المذكورةِ أعلاه . راجع أيضاً (تك ٩:١٠ ، تك ٢:٧) .٢- الشّخصُ او الذّاتُ أو الشّخْصيّةُ البَشَريَّةُ كَكُلٍ. راجع (أع ٢:٤١ و٤٣ ؛ مت ١٦:٢٥ ؛ مر ١٤:٣٤) ٣- طبيعةٌ عاقلَةٌ وروحيَّةٌ في الإنسانِ مُتَميّزةٌ عنِ الجَسَدِ راجع (مت ١٠:٢٨ ؛ مت ٦:٢٥) .٤- النَفْسُ كَصِفَةٍ للسالكين بحسَبِ شهواتِهم وليس بحسَبِ روحِ الله .راجع (يه ٢٨-٢٩ ؛ يع ٣:١٥ ؛ ١كو ٢:١٤).

أمَرَ بتَعَطُّف بمَشيئَته الإلهيَّة بما أنَّهُ إلهُ آبائنا، بأنَّ الإختلاطَ والتّركيبَ والرّبّاطَ الغامضَ هذا، الَّذي منه يَنْفَكُّ ويَنْحَلُّ، فَتَنْفَصِلَ النَّفس إلى حيثُ أَخَذَتْ وُجودَها، وتَبْقَى إلى يَومِ القيامَة العامَّة، ويَنْحَلُّ الجِسْمُ إلى ما تَألّفَ منه، وذلك كي لا يَصيرَ الشَّرُّ عادمَ الزّوال، فَنَضرَعُ إليكَ أيها الآبُ الَّذي لا بَدءَ له، وإلى ابنكَ الوحيد ، وروحكَ المحيي الكلّيّ قُدْسُهُ، المُساويَ لَكَ في الجَوهَر، أَنْ لا تُعْرِضْ عَنْ جبْلَتكَ فَيَبْتَلعْها الهلاكُ بَلْ الجِسْمُ يَنْحَلُّ إلى ما تَألَّفَ منْهُ، والنَّفس تَترَتَّبُ في مَصافِّ الصِّدّيقين" [٨٢].

إنَّ حالَةَ الإنحلال الَّتي تَطرأ على الجسَد لا تُلغي جَوهَرَ وجوده، فالقدّيسُ بولسُ الرَّسول في رسالته الأولى إلى أَهْلِ كورنثوس يوضحُ هذه الفكْرَةَ بقَوله: "لكنْ يَقولُ قائلٌ كيفَ يُقامُ الأمواتُ وبأيِّ جسمٍ يأتون؟ يا غبيّ، الَّذي تزرعُهُ لا يَحْيا إنْ لَمْ يَمُتْ، والَّذي تَزرَعُهُ لَسْتَ تَزْرَع الجسمَ الَّذي سوفَ يَصيرُ بَلْ حَبَّةً مُجَرَّدَةً رُبَّما مِنْ حِنْطَةٍ أو أَحَدِ البَواقي ... هكذا أيضاً يُزْرَعُ في فَسادٍ ويُقامُ في عَدَمِ فَساد..." (١كو ١٥:٣٥ و٤٢).

إنَّ النصَّ البولُسيّ هو مِنْ أَهَمِّ النُصوصِ الَّتي تَبْحَثُ في مَوضوعِ القيامَة، وسَنَعودُ إليه لاحقاً. ومِنْ خلال المَقْطَعِ الَّذي استَشْهَدْنا به يُشَبِّهُ بُولسُ الرَّسولُ الجَسَدَ بحَبَّة حِنْطَة أو أَحَدِ البَواقي الَّتي تُزْرَعُ في التُّراب ويوضِحُ أَنَّ هذه الحَبَّةَ لا تحيا إنْ لَمْ تَمُتْ ، بمعنى أَنَّ هذه الحَبَّةَ المطْمورةَ في التُّراب تبدو للعيان بَعْدَ فَتْرَةٍ وكَأَنَّها انحَلَّت واضمَحَلَّت وبادَت ولم يَعُدْ لها مِنْ أَثَرٍ وكَأَنَّها زالَت مِنَ الوجود. ولكن حين يأتي الوقتُ المناسبُ تَبْرُزُ كَمِنَ المجهول، لأنَّ جَوهَرَ الحَبَّة هذه باقٍ، وتَظْهَرُ بحلّةٍ تَليقُ بالحياة الجديدة، وتَستَطيع بهذه الطَّبيعة الجديدة أَنْ تَتَأقلَمَ مع طَبيعَة الحياة الجديدَة "الحياة في الملكوت".

هذا التّأكيد البُولُسيّ على تَغيير طَبيعَة الجَسَد يَنْطَلِقُ مِنَ المَقولَة الَّتي قالها: "إنَّ لحماً ودَماً لا يَقدران أنْ يَرِثا مَلَكوتَ الله ولا يَرِثُ الفَسادُ عدَمَ الفساد" (١كو ١٥:٥٠). يَقولُ الرسولُ بولسُ أَنَّهُ حَتَّى ولو بَقِيَ الإنسانُ حَيّاً إلى حين يأتي الملكوتُ الأُخرَويُّ لا بُدَّ لهذا الإنسان أَنْ يَتَغَيَّر وسَيَتمُّ هذا التَّغيير " في لحظَة في طَرْفَة عَيْنٍ عِنْدَ البوق الأخير" (١كو ١٥:٥٢) ويُبَرّرُ هذه المقولَةُ بقَوله :"لأنَّ هذا الفاسدَ لا بُدَّ أَنْ يَلبَسَ عَدَمَ الفَسادِ وهذا المائتَ يَلبَسَ عَدَمَ مَوت" (١كو ١٥:٣٥).

القدّيسُ يوحَنّا الذَّهبيّ الفَمّ يُوضّحُ النَّصَّ البولُسيّ بقَوله :"إنَّ جَسَدَنا شَبيهٌ بالإناء الفخّاريّ فَكَما أَنَّ هذا يَتَقَوّى بالنار، هكذا يُقَوّى جَسَدُنا بحرارَة النَّفس، وكما أَنَّ الإناءَ الفَخّاريّ إذا وَقَعَ يَتَفَرَّقُ إلى قِطَعٍ صَغيرة هكذا يتبعثرُ جسدُنا بالموت[٨٣]... وممّا يَستَحقّ التّعجّب أكثَر مِنْ غَيْرِه ليسَ فَقَط أَنَّ الأجسادَ تَفْسُدُ وبَعدَها تَقومُ مِنْ جَديد، أو أَنَّ الأجسادَ القائمَةَ هي أَفضَلُ مِنْ أَجسادنا اليوم، أو أَنَّها تَنْتَقلُ إلى حالة أفضَل أو أنَّ كلَّ واحد في القيامة يَتَّخذُ ما هو لَهُ وليسَ ما هو للآخَر، بَلْ ما يُذهِلُ أكثَرَ مِنْ غَيرِه هو أنَّ كُلَّ هذه الأمور الحادثَة والمتغيِّرَة والفائقَة على كُلِّ فكرٍ وكُلِّ ذهْنٍ تَصيرُ في لحظَة واحدَة بصورَة مُفاجئَة ... الفاسدُ هو الجسَدُ والمائتُ هو الجَسَدُ أيضاً. إذاً الجسَدَ يَبْقى لأَنَّهُ هو الَّذي يُلبَسُ. يُلغى فسادُهُ، قابليَّتُهُ للموت لأنَّ عدَمَ الموت، عَدَمَ الفَساد، يَدخُلُه"[٨٤].

القدّيسُ أثناسيوس الكبير يُشَدِّدُ على أَنَّ انحلالَ الجسد ضروريٌّ، خاصَةً بَعْدَ مَوت المسيح عن البَشَريَّة كُلِّها ومِنْ ثُمَّ قِيامَته، لأنَّ بذلك يُهيّأ للفَوز بحَياة أفضَل: "الإنسانُ أَقحَمَ نَفْسَهُ في دائرة الموت مُتَوَرِّطاً في التَّعدّي،

---

82 كتاب مختصر الأفخولوجي، صفحة ٢٣٥– ٢٣٦ .

83 أنطوني، رئيس دَير القدّيس بندلايمون الرّوسي الأثوني: أسرار أبديّة وراء القبر، ترجمة المطران أبيفانوس زائد،صفحة ١٠.

84 كلمات آبائيّة، الجزء الثالث: رسائل الآحاد بعد العنصرة، دير مار ميخائيل ، صفحة ٣٣٢–٣٣٣.

فَوَقَعَ تَحْتَ حُكْمِ الموتِ، ولذلكَ أَصبَحَ تَكْميلُ الحُكْمِ بالموتِ على كُلِّ إنسانٍ أَمْراً حَتْميّاً، وهذا أَكْمَلَهُ المَسيحُ في نَفْسِه عن كُلِّ إنسانٍ ... ولكن إذْ بَطُلَ الفَسادُ وأُبيدَ بنعْمَةِ القيامَةِ، مِنْ أَجْلِ ذلكَ نحن فقط نَنْحَلُّ بالموتِ الَّذي بحَسَبِ طَبيعَةِ أَجسادِنا المُنحَلَّةِ بالموتِ في الميعادِ الَّذي يُحدِّدُهُ اللهُ لكلِّ واحدٍ، حتى نَصيرَ قادرينَ أَنْ نَفوزَ بقيامةٍ أفضَل"[٨٥].

إنحلالُ الأجسادِ بعدَ الموتِ مُباشرَةً لَيسَ حَتْميّاً على الكلِّ، وإنَّما هو أيضاً يَرتَبِطُ بمشيئَةِ اللهِ، فهو يُحَدِّدُ تَوقيتَ الفَناءِ أو بالمقابلِ بَقاءَ الأجسادِ، كما حَصَلَ ويحصَلُ مع الكثيرِ منَ القدّيسينَ إلى الآن.

في سيرةِ القدّيسِ نكتاريوس العَجائبيّ أُسقُفِ المُدُنِ الخَمسِ نَقرأ: " بَعدَ مُرورِ عَشْرِ سَنواتٍ على وفاةِ نكتاريوسَ، فُتِحَ القَبْرُ مِنْ جَديدٍ ورُفِعَ الغطاءُ عن النَعْشِ، فإذا الجَسَدُ سَليمٌ. وكان يَبدو عليه الهدوءُ والصَّفاءُ، وكأنَّه قد نامَ لتوِّه، وكان ما زالَ يُشيعُ العطرَ ، ولم يَسمَحْ الرَّبُّ بأنْ يَستَحيلَ جَسَدهُ إلى ترابٍ كغَيرِهِ منَ البَشَرِ إلاّ بعد مُرورِ عشرينَ عاماً فاستَطاعَ الناسُ أنْ يأخُذوا منه الذَّخائر" [٨٦].

القدّيسُ يوحَنّا السُلَّميّ يوردُ في كتابِه "السُّلَّم إلى الله" خَبَرَ إيسيدوروسَ الخوزيبي الراهب المتواني الَّذي فارَقَ جَسَدَهُ لُمدَّةِ ساعةٍ واحدَةٍ ومِنْ ثَمَّ تغيّرت حياتُهُ بعد عَودَتِه إلى الحياة، وقالَ كَلمَةً واحدَةً بعد صَمْتٍ طَويل: "اغفروا لي، إنَّ كُلَّ مَنْ حَوى ذِكْرَ الموتِ لا يَستَطيع أَنْ يخطأ". وبعدَ هذا التّحوّل رَقَدَ. ويقولُ القدّيسُ يوحنّا عن ذلك:

"ثُمَّ دَفَنّاهُ دَفنَ الأبرارِ في المقبَرَةِ القَريبَةِ منَ الحِصْن، وبعدَ أيّامٍ طَلَبْنا جَسَدَهُ المقدّس فَلَم نجدهُ، فأكّدَ الرّبُّ بذلك منْ خلالِ تلْكَ التّوبةِ الصّادقةِ المأثورةِ قَبولَهُ لجميعِ المُريدينَ أنْ يُقَوّموا سيرَتَهم بعدَ كثرةِ توانيهم"[٨٧].

خبرَةُ الموتِ تَسري على الجميعِ، على الأبرارِ والأشرار. ووالدَةُ الإله خَبرَتهُ، وحتى الرَّبّ نَفْسُهُ لَمْ يرفُضْ هذه الخِبْرَة. القدّيسُ يوحنّا الدِّمَشقي في عِظَتِه في عيدِ رُقادِ والدةِ الإله يقولُ: "كيفَ تُقادُ {يَنبوعُ الحياةِ} إلى الحياةِ مُروراً بالموت؟ يا للدهشَة! تلكَ الَّتي تجاوزَت في ولادَتِها حُدودَ الطَّبيعة، تَنحَني الآنَ تَحتَ نَواميسِها، ويخضع جَسَدُها البَريءِ منَ الدَّنَسِ للموت! إذْ يجب في الواقعِ أَنْ يُنزَعَ ما هو مائتٌ لارتداءِ عَدَمِ الفَساد، لأنَّ سَيّدَ الطَّبيعةِ نَفسَهُ لَمْ يَرفُضْ خبرَةَ الموت. لقد ماتَ بحسَبِ الجَسَدِ وبموتِهِ حَطَّمَ الموتَ، وأَضْفى على الفَسادِ عَدَمَ الفَساد، وجَعَلَ منَ الموتِ يَنبوعَ القيامة"[٨٨].

يُضيف الدّمشقي أنَّهُ مع أَنَّ هذا الإنفصالَ قد تَمَّ على غِرارِ سائرِ البَشَر، إلاّ أَنَّهُ لَمْ يُقِمْ في الموت. الدِّمَشقيُّ يُخاطبُ والدةَ الإله قائلاً: "إذا ما كانت نفسُك الفائقة القَداسَة والطّوبى قد انفصلَت عن جَسَدِك المُبارك البَريءِ منَ العَيبِ كما تُريدُ الطَّبيعة، وإذا ما أُسلِم هذا الجَسَدُ إلى القَبرِ بحَسَبِ النّاموسِ المُشتَرَك، فهو مع ذلكَ لَنْ يُقيمَ في الموتِ ولَمْ يَحُلَّهُ الفَساد. فَتِلْكَ الَّتي بَقيتْ بَتوليَّتُها سليمةً في الولادَةِ ، حُفظَ جَسَدُها بدونِ انحلالٍ عندَ انطلاقِها

---

85 المسكين، الأب متّى : القدّيس اثناسيوس الرَّسولي: سيرته، دفاعه ضد الآريوسيين ، لاهوته ، صفحة ٤٣١ و٤٣٣.

86 خوندروبولس، سوتوس : سيرة القدّيس نكتاريوس العجائبي أسقف المدن الخمس ، تعريب رهبنة دير الحرف، صفحة ٣٦٨.

87 السُلّمي، يوحنّا ، السلّم إلى الله ، تعريب رهبنة مار جرجس الحرف، صفحة ٩٥.

88 كلمات آبائية ، الجزء السادس،المرجع السابق ، صفحة ٩١٩.

مِنْ هذه الحياة، ووُضِعَ في مَسْكَنٍ أَفضَلَ وأَكْثَرَ تَألُّهاً، في مَنجى من الموتِ، فَيقدِر على البقاءِ إلى الدّهورِ الَّتي لا نِهايَةَ لها"[٨٩].

٢- للروحِ (أو للنَّفسِ).

" فيَرجِعِ التُرابُ إلى الأرضِ وتَرجِعِ الرُّوحُ إلى الله الذي أعطاها" (جا ١٢:٧).

مِنَ المُسَلَّماتِ في التَّعليمِ الكتابيَ والآبائي حَولَ حالةِ النَفسِ البَشَرِيَّة أنها ستكونُ حَيَّةً، واعيَةً، بمَعيَّةِ الله[٩٠]، ماثلةً أمـــام الحضرَةِ الإلهيَّة، غيرَ قادرَةٍ على العودَةِ ثانيَةً، بَلْ تكونُ في حـــالَةِ تَذَوّقٍ وانتظارٍ في آنٍ معاً. هدَفُ الإنتظارِ هو المجيء الثاني للمسيحِ، لأنَّ كَمالَ المكافأةِ أو كَمالَ العِقابِ لن يكونَ إلا حينَ "يأتي (المسيحُ) بمجدٍ ليدين الأموات والأحياء".
بعد إنفصالِها عنِ الجَسَدِ تبقى الرُّوحُ نشيطةً كما في الحياة الأرضيَّة، وإنْ كان ذلك بطريقةٍ أُخرى. لكنَّها لا تعودُ تستَطيع فعلَ أيّ عَمَلٍ مِن أجلِ خلاصِها.

التقليدُ الأرثوذكسيّ الذي يَعتَمدُ على رؤى بعضِ القدّيسين المُنعَمِ عليهم، يَعتَبِرُ أنَّه في اليَومينِ الأوَّلينِ بعدَ الموتِ تبقى النَّفسُ على الأرضِ تحومُ حولَ الأماكنِ التي عاشَت فيها والتي كانت مرتبطةً بها خلالَ حَياتِها الأرضيَّة، وابتداءً مِنَ اليومِ الثالث[٩١] تَعبُرُ حسَبَ تعبيرِ قولِ الآباءِ القدّيسين في مراحِلَ مؤقَّتةٍ مِنَ المحاسَبَةِ لتَصِلَ بالنهايَةِ إلى نتيجَةِ ما آلت إليه بسَبَبِ أعمالِ برٍّ أو أعمالٍ ضِدَّ ذلك.

هكذا ولُمدَّة أربعينَ يوماً تُمتَحَنُ النُّفوسُ بحيثُ تعرضُ الشياطينُ أمامَ النَّفسِ كُلَّ ما ارتكَبَتهُ من أخطاءٍ خلالَ حياتِها الأرضيَّة وكأنَّه مراجَعةٌ لكُلِّ ما مَرَّ بحياةِ المرءِ مُنذُ الطفولةِ حتى المَمات. وتحدثُ هذه المراجَعةُ أحياناً خلالَ رؤيتِهم للنُّورِ الذي يسألهم "ما هي الأشياءُ الجيِّدة والحَسَنَةُ التي فعلتموها أيَّتها النُّفوس؟"[٩٢]. بعدَ هذه المرحلة لا تستطيعُ الرُّوحُ أَنْ تَهيمَ هنا على الأرضِ ولا يُمكنُ لها بَعدَ أَنْ تَحَرَّرت مِنَ الجَسَدِ أَنْ تبقى هنا. وهذا ينطَبِقُ على نُفوسِ الأبرارِ والخاطِئينَ على السَّواءِ[٩٣]، لأنَّ "الرُّوحَ تَرجعُ إلى اللهِ الذي أعطاها" (جا ١٢:٧).

---

[89] المرجع نفسه ، صفحة ٩٢٠.

[90] عطيّة ، الأب د. جورج : المرجع السابق ، صفحة ٥٦.

[91] مِنْ هنا درجت العادةُ في بعض الكنائس بأنْ تقام خدمة التريصاجيون مِن أجلِ راحةِ نفسِ الراقدِ في المكانِ الذي رَقدَ فيهِ ولِمُدَّةِ ثلاثة أيامٍ.

[92] **Mileant, Bishop Alexander: Life After Death,trans. By Nicolas Stoltz, p. 2.**

[93] مجموعة من المؤلفين : سألتني فأجبتك ، تحرير د. عدنان أديب طرابلسي ، صفحة ٤٠.

يُشَدِّدُ القدّيسُ يوحنَا الذّهبي الفَمِ على أنَّ لا أحَدَ يَستطيعُ أنْ يَتحَكَّمَ بنفوسِ الرّاقدين أو أَنْ تتعامَلَ هذه النُّفوس مَعَ فاعلي الشَّرّ: "... أيضاً مِنْ غيرِ المعقولِ أنْ تتعاوَنَ النَّفسُ مع فاعلِ شَرٍّ، أو أنْ يستطيعَ إنسانٌ أنْ يُغيِّرَ قوَّةً غيرَ جسدانيّة إلى جوهرٍ آخر"[٩٤].

أ- ماذا يَحصَلُ لنُفوسِ الأبرارِ بَعدَ المَوت ؟

"أمّا نفوسُ الأبرارِ فهيَ بيَدِ اللهِ فلا يَمَسُّها أيُّ عذاب. في أَعيُن الأغبياء يَبدو أنَّهم ماتوا وَحُسبَ ذَهابُهم عنَّا كارِثَةً لكنَّهم في سَلامٍ، وإذا كانوا في عُيونِ النَّاسِ قد عُوقبوا فرجاؤُهم كانَ مملوءًا خلوداً. وبَعدَ تأديبٍ يَسيرٍ سيكونُ لهم إحساناتٌ عظيمة لأنَّ اللهَ امتحنَهم فَوَجَدَهم أهلاً لَهُ. كالذَّهَبِ في البوتَقَة مَحَّصَهم وكَذبيحَةٍ قُرِّبَت مُحرَقَةً قَبلَهم... والأمَناءَ في المَحَبَّة سَيُلازِمونَهُ لأنَّ النعمَةَ والرَّحمَةَ لِمُختاريه"(حك ٣:١-٩) و "الحقّ أقولُ لكَ: ستكون اليوم معي في الفردَوس" (لو ٢٣:٤٣).

بَعضُ المَصادرِ الآبائيَّة تَذْكُرُ وجودَ عِدَّةِ مَراحِلٍ سَتَمُرُّ فيها النَّفْسُ بَعدَ الموتِ مُباشَرَةً، في طَريقِها إلى السَّماء، وتُسمّى " مَراحِلُ الجبايات" أو "محطة جمركيّة"[٩٥]، حَيثُ سَتَتَعَرَّضُ لتَجاربَ وامتحاناتٍ منَ الشَّياطينِ الَّتي سَتَخْتَبِرُ النَّفْسَ في كُلِّ الخَطايا. وفي كُلِّ مرحلةٍ تُوقِفُ الشَّياطينُ الرُّوحَ ويُطالبونَ بها ويَتَّهِمونَها بكُلِّ الخَطايا الَّتي فَعَلَتْها، والَّتي لَمْ تَفْعَلْها كَونَهم (أي الشّياطين) مِنْ أَتْباعِ أبي الكَذِب، لِتَخْطِفَ الرُّوحَ مِنْ يَدِ المَلائكَةِ وبَدَلَ أَنْ تَصْعَدَ إلى الفِردَوسِ تَهبِطُ إلى الهاويَة[٩٦].

القدّيسُ كيرللسُ الإسكَندَريُّ يَقولُ في كتابِه "كلمةٌ في خروجِ الرُّوح":

"إنَّ النَّفْسَ عندَ افتراقِها عَن الجَسَدِ يُمسكُها المَلائكَةُ القدّيسونَ ويُحافظونَ عليها عندما تَمُرُّ في الهَواءِ مُجتازَةً مَناطِقَ التَّعْشيرِ أو الجبايات"[٩٧] حيث يَتمُّ الصِراعُ "ليسَ مع دمٍ ولحمٍ بَلْ مع الرؤَساءِ مع السَّلاطين مع ولاة العالمِ على ظُلمَةِ هذا الدَّهرِ مع أجنادِ الشَّرِّ الرّوحيَّةِ في السماويّات" (أف ٦:١٢).

القدّيسُ أفرامُ السّوريّ يَقولُ في أَحَدِ مَزاميرِه ما يلي: "... إنَّ نَفْسي مُضْطَرِبَةٌ وتَحزَنُ جدّاً كَونَ يَدِ المُخاصِمِ الماكِرَةِ قد تَجِدُ نَفْسي، عِندَما تَتْرُكُ هذا الجَسَدَ الفَقيرَ، فَتَحْفَظُها وَراءها في الظَّلامِ بِسَبَبِ الخطايا الَّتي ارتَكَبْتُها في

---

[94] المرجع نفسه، صفحة ٤١.

[95] هذاالتعبير يَرِدُ في رؤيا رآها الراهب غريغوريوس وهو أحد تلاميذ القديس باسيليوس الجديد (القرن العاشر للميلاد)للقديسة ثيوذورا بعد رقادها . راجع : **Mileant, Bishop Alexander: p.p.7**

[96] راجع : أليعازر ، الأب الرّاهب في دير ستافروفونيو: حول خروج النفس والمحطات الجمركية التي تمرّ بها ، ترجمة الإيكونوموس إبراهيم دبور،صفحة ٧ – ٨.

[97] أنطوني، رئيس دَير القدّيس بندلايمون الرّوسي الأثوني: المرجع السابق، صفحة ١٠٣.

هذه الحياة، بمعرفةٍ وبجَهلٍ معاً. كُنْ رَحيماً لي يا سَيِّدَ الكُلِّ، كَيْ لا تَرى نَفْسي وَمضَةَ الشَّياطينِ الماكِرينَ الشَّنيعَة؛ بَلْ كَي تَستَلِمها مَلائكَتُكَ الأطهارُ والمُشعّون [٩٨].

القدّيسُ يوحنّا فَمِ الذَّهَبِ يَقولُ في عِظَتِهِ عن ذِكرى الرّاقدين: "إنَّ النَّفْسَ عند انفصالِها عن الجَسَدِ تَحتاجُ إلى مُساعَدَةِ المَلائكَةِ وَحمايَتِهِم لتَقودَها أَمامَ سُلُطاتِ هذا العالمِ غَيرِ المَنظورِ في الهواء"[٩٩]. ويُميّزُ هذا القدّيسُ بَينَ وَضْعيَّةِ الأبرارِ الَّذين عَانَوا من أَجلِ المَسيحِ وبَينَ الأشرار، لَحظَةَ تُفارقُ النَّفسُ الجَسَدَ في الموت، فيقول: "سَنُحاولُ أَنْ نَكشفَ عن الغبطَةِ الَّتي تَنتَظِرهُم هناك، الَّتي وَحدَهُم سَيَعرِفونَها بِجَلاء، وسَيَتَمَتَّعونَ بِها حَقّاً. يَتَحَمَّلُ هؤلاءُ الشُّهَداءُ العَذاباتِ الَّتي لا تُطاقُ، وبَعدَ تَحَرُّرِهِم مِنْ هذه الحياة، يَصْعَدونَ إلى السَّمَوات، يَتَقَدَّمُهُم الملائكَةُ، ويُحيطُ بِهِم رؤساءُ المَلائكَة. يُميِّزونَهُم عَن سائرِ البَشَرِ، إخوتِهِم، لأَنَّهُم يَستَحِقُّونَ التَّمييزَ بِما أَنَّهُم فَضَّلوا أَنْ يُعانوا كُلَّ شَيءٍ مِن أَجْلِ المَسيحِ رَبِّهِم"[١٠٠].

باختصار، نَرَى أَنَّهُ بِحَسَبِ تَعليمِ بَعضِ الآباءِ لَيْسَت كُلُّ النُّفوسِ تُعاقُ بِحالةٍ مُتَساوِيَّةٍ وتُضايَقُ مِنَ الأرواحِ الشِّرّيرَةِ في هذه المَناطِقِ بَلْ بِحَسَبِ دَرَجاتِها في الطَّهارَةِ والتَّقوى والتَّهذيبِ والقَداسَة، وإنَّ النُّفوسَ الصَّالحَةَ والطَّاهِرَةَ لا تُمَسَكُ بالكُلِّيَّةِ بَلْ تُحْمَلُ كَنَفْسِ لَعازَرَ مِنَ المَلائكَةِ الصَّالحينَ إلى حِضْنِ إبراهيم.
مَثَل "لَعازَر والغَنِيّ" (لو ١٦ : ١٩ – ٣١) الَّذي أَعطاهُ الرَّبُّ يَسوعُ المَسيحِ هو أَفضَلُ مُساعِدٍ لِيَقودَنا ويُعَرِّفَنا بِتَعْليمِ الكَنيسَةِ حَولَ موَضوعِ "الحياة بعدَ الموت" وعن الفَترَةِ "ما بَينَ الموتِ والمجيء الثّاني للمَسيح" .
بِدِراسَةِ هذا المَثَلِ الشَّهيرِ يُمكِنُ للمَرءِ أَنْ يُلاحِظَ أُمورٍ عِدَّة:

المَثَلُ يَتَحَدَّثُ عن حَالَةِ النَّفْسِ ما بَينَ مَوتِ المَرْءِ، عِندَما تُفارِقُ النَّفْسُ الجَسَدَ، وبَينَ المجيءِ الثّاني للمسيح. هذه الفَترَةُ تُسَمّيها الكَنيسَةُ "الحالةُ المُتَوَسِّطَةُ للنُفوسِ **Intermediate State of the souls**". ويُبرِزُ المَثَلُ أَنَّ الموتَ مَوجودٌ في حَياةِ الإنسان، ينامُ ويَستَيقِظُ مَعَهُ[١٠١]، وهو يُرعِبُ بِشَكْلٍ خاصٍ أولئكَ الَّذينَ يَبْنونَ حَياتَهم على أَساسِ عَدَمِ وُجودِه[١٠٢]. الموتُ هو انفصالُ النَّفْسِ عَن الجَسَـــد، هذه الحالةُ تُسَـــمّى أَيضاً "رُقادٌ، نَومٌ، مَوتٌ مُؤَقَّت"[١٠٣]. هذهِ التَّعابيرُ تَنطَبِقُ على حالَةِ الجَسَدِ[١٠٤] لأَنَّهُ يَظهَرُ وكأَنَّه استَراحَ مِنْ عملِه، أَمّا الرّوحُ فتُتابِعُ مَسيرَتَها

---

[98] في الواقع الكثير من اللاهوتيين يفسّرون هذه الإشارات الآبائية بصورة رمزيّة أكثر منها واقعيّة ، فهي لا أساس لها في الكتاب المقدّس.راجع : السوري، القدّيس أفرام : المزامير الرُّوحية ،جمعها ونسّقها القديس ثيوفانس الحبيس الرّوسيّ، ترجمة د.عدنان طرابلسي، صفحة ٦٤.

[99] أنطوني، رئيس دَير القدّيس بندلايمون الرّوسي الأثوني: المرجع السابق، صفحة ١٠٣.

[100] كلمات آبائية ، الجزء السادس، المرجع السابق ، صفحة ٦٣٧.

[101] Sinai, John Of:Klimax (The Ladder), Homiy 15,On Chastity&Prudence 51, p91

[102] Ioan. Kornarake: Patrictic Experiences of the Eleventh Hour, p 34,35.

[103] الإيبوذياكون دامسكينوس من دير ستوديت يَقولُ في تَفسيرِه لحَدَث إقامَةِ الرَّبّ للعازرَ من الموت : " الكتابُ المُقَدَّسُ يَتَحَدَّثُ عَن " مَوتِ " الخطأة والمُلحدينَ لأَنَّهُم يَذهَبونَ إلى الهَلاكِ الأبَديّ حَيثُ العَذاب والعِقاب، بينما يَتَكَلَّمُ عن " رُقادِ "الصِّدّيقينَ لأَنَّهم

لأنَّ المَوتَ أُبيدَ بقيامَةِ الرَّبِّ يَسوعَ المسيحِ مِنْ بَينِ الأموات[١٠٥]. اللهُ ،كما سَبَقَ وقُلنا، لم يَخْلُق الموتَ. الموتُ أَقْحَمَ نَفْسَهُ في الطَّبيعَةِ، كَنَمَرَةٍ لخطيئَةِ الإنسانِ وانفصالِه عَن الله.

بَعدَ أَنْ تَرَكَتِ الرُّوحُ جَسَدَ لعازَرَ استَقْبَلَتْها المَلائكَةُ وَحَمَلَتْها إلى أَحضانِ إبراهيمَ، وهذا يَعني أَنَّ هُنالكَ مَلائكَةً، وبالطَبْعِ لكُلٍ مِنَّا حَارِسَهُ الشَّخْصيّ أَي مَلاكَهُ الحارس، وهو الَّذي يَستَقْبِلُ الرُّوحَ ليَأخُذَها ويوصلَها لله كما يقول المتروبوليت ايروثيوس فلاخوس[١٠٦]. أَشياءٌ مُخيفَةٌ تَحْصَلُ في لَحْظَةِ الموتِ الرَّهيبَةِ عندَما تُفصَلُ الرُّوحُ بِقُوَّةٍ عَن الجَسَدِ. تَستَقْبِلُ المَلائكَةُ أَرواحَ القدّيسينَ والشَّياطينُ تَستَقْبِلُ أَرواحَ الخطأة[١٠٧].

إنَّ تَعليمَ آباءِ الكنيسَةِ يوضحُ أَنَّ أرواحَ القدّيسينَ المُتَّحدَةَ مع المسيحِ والمختومَةَ بختمِ الرُّوحِ القُّدسِ لا يُمكنُ أَنْ تُمَسَّ مِنَ الشَّياطين. بالتّالي، إستقبالُ أرواحُ الرَّاقدينَ مِنَ الملائكَةِ أو مِنَ الشَّياطين مُرْتَبِطٌ بِحالَةِ هذه الأرواحِ أو النُّفوس.
كما نُلاحظُ أَيضاً أَنَّ الرَّبَّ يسوعَ قالَ، في المَثَلِ المذكور آنفًا، أَنَّ لَعازَرَ ذَهَبَ إلى حِضْنِ إبراهيمَ، مَعَ العِلْمِ أَنَّ الرُّوحَ بَعدَ الموتِ، روح لعازر، هي الَّتي انتقلت إلى أحضان إبراهيم. وقد استعمل الرّبّ هذا القول للدلالة على أنه حتى بعد انفصالِ الجسدِ عن الرُّوحِ يَبقى الشَّخصُ هوَ نَفسُهُ، بمعنى أَنَّ الإنسانَ، بَعدَ الموتِ مُباشَرَةً، لا يُصبِحُ في حالَةِ ضَياعٍ بَلّ تَبقى الرُّوحُ واعيةً[١٠٨].

في الواقعِ الحواسّ، ليس كلّها بالطبع[١٠٩]، تَتَحَسّنُ بِشَكلٍ رَهيبٍ. النَّظر والسَّمْعُ يصبحان فاعلَين بصورة أفضل. والذاكرة تنتعش. وحتى أولئك الَّذين كانوا قد فقدوا هذه الحواسَّ بِسَبَبِ الشَّيخوخَةِ أَو المَرَضِ، أَو حتى لَمْ توجَدْ مَعَهُم مُنذُ وِلادَتِهِم، تَعودُ هذه الحواسُ إلى عَمَلِها بِشَكلٍ جَيّدٍ، فيصبح بإمكانهم الرّؤيَةُ والسَّماعُ والتّفكيرُ بدونِ

يَذهَبونَ إلى الملكوتِ السَّماويّ إلى الرّاحَةِ الأَبَديَّةِ . مِنْ أَجلِ ذلك سَمّى المسيحُ مَوتَ لعازَرَ رُقاداً ". راجع : كلمات آبائيّة، الجزء الثاني: الصوم الكبير والقيامة، دير مار ميخائيل ، صفحة ٤٥٤.

[104] Mileant, Bishop Alexander:p.p.5

[105] الموتُ أَصبحَ الآن حالةً مؤقّتةً ، ويَظهَرُ ذَلكَ من خلالِ مَوتِ القدّيسينَ الَّذينَ ماتوا على الرَّجاءِ بالمسيحِ يسوعَ ويُمكنُ أَنْ نَتَلَمَّسَ حُضورَهُم العَجائبيّ ومُعجزاتِهم حتى بَعدَ الرُّقاد. . هُناكَ مَوتُ الجَسَدِ وهُناكَ مَوتُ الرُّوح. مَوتُ الرُّوحِ هو الإنفصالُ عَن نعمَةِ الله وأما مَوتُ الجَسَدِ فهو إنفصالُ الرُّوحِ عَن الجَسَد.

[106] Hierotheos, Metrop. of Nafpaktos : The Parable of the rich man & Lazarus about LIFE After Death, p.p. 5. & Mileant, Bishop Alexander: p.p.6

في الحقيقة إنَّ أغلب الكتابات الآبائيّة كما في مَثَلِ الرَّبّ يسوع لعازر والغني تذكُر إنَّ أكثر من ملاك يستقبل نفسَ الرّاقد. هنـــاك أيضًا مَنْ مَرَّ بما يُسمّى بـــ " تجربة حافّة الموت" وبأنَّ ملاكه الحارس قال له :" لقد ساعدتك خلال هذه المرحلة ولكنني سأتركك الآن في رعاية آخرين" راجع : مودي، د. ريموند أ. : الحياة بعد الموت، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، صفحة ٥٥.

[107] Mileant, Bishop Alexander: p.p.1

[108] عطيّة، الأب د. جورج : المرجع السابق ، صفحة ٥٦.

[109] اللّمسُ والذّوقُ يَبطُلان أو بالأحرى يُصبحان على المُستَوى الرُّوحيّ لِيُشارِكَ الإنسانُ في مائدَتِه السَّماويَّة.

أيّة مُساعَدَة خارجيَّة. هذا بالإضافَة إلى زَوال آلآم الجَسَد الّتي كانت مُستَحوذَة عليه[110]، كما عَبَّر بعض الأفراد الّذين اختبروا ما يُسمّى بـــ "الموت الإكلينيكيّ".

الآباء القدّيسون يوضحونَ أنَّ روحَ الإنسان تَتَعَرَّفُ على عَناصِر الجَسَد الّذي تَنتَمي إليه[111] إلى حين يُصبح الجسد جَسَدًا روحانيًّا لا يَحتاجُ إلى الطّعام والشّراب، وغَيرَ مَحدود بالمسافات والأزمنة والقياسات. هذا بالإضافة إلى أنّها تتعرّفُ إلى الأشخاص الّذين كانت لها صلةٌ بهم أكانوا من الأقارب، أو القدّيسين الّذين كان المرء يُصلّي لهم، كما حَصَلَ مَع الكَثير منَ المؤمنينَ ومَع الأبرار. التّراثُ المَسيحيُّ غَنيٌّ بخُبرات كهذه، نَذكُرُ منها على سَبيل المثال لا الحَصر رؤيا القدّيس البارّ سيسوي الكَبير: "لّما دَنَت ساعَةُ فراقه سُمِعَ يقولُ ويَصرُخُ: "الملائكَةُ أَتَتْ لتأخُذَني، وأَنا أرجو منهم أن يتركوني قليلاً من الزمن للتّوبة"[112]. ثمّ أردف قائلاً:" القدّيس أنطونيوس والأنبياء والملائكة أتوا لأخذ روحي". ثمَّ أضاء وجهُه وسكَتَ لحظةً ثمَّ صرخَ من جديد: "والآن الرّبّ يأتي إليَّ "[113].

في مَثَل "لعازر والغنيّ" يُذكَرُ اسمُ لعازر مُقابلَ إغفال إسم الغنيّ. وهذا يَعني أَنَّ لعازرَ يَحيا مع الله، وهو إنسانٌ مُخَلَّصٌ، وَقَد حَقَّقَ كَمالَ شَخصيَّته أَيْ أَنَّ النِّعمَةَ الإلهيَّةَ غَمَرَت كيانَهُ، روحَهُ وجَسَدَه.
لعازر كان في حضن إبراهيم، وهو تعبيرٌ صُوَريٌّ عن الحضرة الإلهيَّة، قريباً من القلب؛ أي أنّه في شركة مع الله حيث تتمّ الوحدة بينهما بالمعرفة الرُّوحية والمحبّة، ويكون الإنسان متّصلاً بملء الحياة، بالمحبوب.

لعازر لا يبدو مضطرباً لألَم الغنيّ ولم يرَ الهاوية الّتي فيها هذا الأخير. في الواقع، وحسب تعليم الآباء القدّيسين، مَن يحيا في النور غير المخلوق، في الرؤية الإلهيَّة، ينسى العالم. النّور الإلهيّ عظيمٌ جدّاً لدرجة أنّه يَبهر المرء فلا

---

110 مودي، د. ريموند أ. : المرجع السابق، صفحة ١٠٦.

111 منْ خلال الوَثائق المُتَعلِّقَة بالمَوت المؤقّت ، والّتي تَتَضَمَّنُ بَعضَ المُلاحَظات والخُبُرات حَولَ الفَترَة الضَّئيلَة الّتي تَقضيها النَّفسُ مُنفَصلَةً عَن الجَسَد ومنْ ثَمَّ تَعودُ إليه تُذكرُ بَعض الملاحَظات الّتي هيَ مُشتَرِكَة عندَ الأغلَبيَّة . منْ هذه المُلاحَظات : إنَّ الإنسانَ ، بَعدَ المَوت، لا يَترُكُ حالَتَهُ وَوَضعَهُ بالكُلِّيَة . فَقط بَعدَ رؤيَته " المزدوجة " أي جَسَدهُ المُمَدّد أمامه ورؤيته لهذا الجَسَد وما يَدورُ حَولَهُ منْ حَوادثَ يُدرك حينها أَنَّ روحَهُ قد غادَرَت هذا الجسد وأَنَّ هذا الجَسَد هو جَسَدُهُ الخاصّ .وقد لاحَظَ الباحثونَ في هذا المضمار أَنَّ الّذينَ رَقَدوا بسَبَب الحُروب وتَشَوَّهَت أَجسادُهُم تَجدُ الأرواحُ، في البدايَة، صُعوبَة في التَّعَرُّف على أَجسادها الخاصّة.
هذه الرّؤية المزدوجة تخلق صَدمَة داخلَ النَّفس وبالتّالي لا تَعودُ تُدرك أهي في حالة حُلم أم في الواقع.إنّ تلكَ السَّاعَة ستكون هائلَة ليسَ للخَطأة فَحَسب بَلْ للصِّدّيقينَ الّذينَ ذَكَروا اللهَ دائمًا باكينَ على خَطاياهُم .
راجع : أنطوني، رئيس دَير القدّيس بندلايمون الرّوسي الأثوني: المرجع السابق، صفحة ٦٠.

112 المرجع نفسه، صفحة ٢٤.

113 بيطار، الأرشمندريت الراهب توما : سيَر القدّيسين (السنكسار)،الجزء الخامس (حزيران – تموز) ، صفحة ٢٣٨ .

يستطيع أن يرى شيئاً آخر غيره[114]. بالطّبع القدّيسون هم في حالة لا يُمكن إدراكُها، ولا يُمكن الحديث عنها إلاّ من خلال خبرَتِهم وإعلاناتِهم الإلهيَّة[115].

عندما كان لعازر في حضن إبراهيم، كان الغنيّ يحترق في الهاوية. الغنيّ رأى مجد إبراهيم ولكنّه لم يشارك هذا المجد، بالمقارنة مع لعازر الّذي كان ينتمي إلى هذا المجد ومعايناً له. وهذا إن دلَّ على شيء فإنّما يدلُّ على أنّه في الحياة بعد الموت الكُلُّ سيرى الله، لكنَّ الأبرار سيتّحدون به وينتمون إليه ويتذوّقون مجده، على عكس الأشرار الّذين سيلتهبون به.

الغنيُّ كان مُهتَمًّا لأخوَتِه في العالمِ وطَلَبَ مِنْ إبراهيمَ أَنْ يُرسِلَ لعازر "حتّى يَشهَدَ لَهُم لِكَيلا يَأتوا إلى مَوضِعِ العَذابِ هذا". الإنسان بعد الموت وبعد انفصاله عن العالم لا يفقد الحسّ بالآخرين ولا الإهتمام بأهل العالم. هذه الحقيقة، مع كلّ ما سبق، تُظهر كما قلنا سابقاً أنّ مَثَل "لعازر والغنيّ" لا يتحدّث عن المجيء الثّاني للمسيح وإنّما عن الحياةِ بَعدَ الموتِ مُباشَرةً . إنّهُ يَتَحَدَّثُ عَمّا يُسمّى "الدّينونة الخاصّة لِروحِ كُلِّ إنسان".

القدّيسون يهتمّون بخلاصِ العالم. بِنِعمَةِ إلهِهِم يسمَعونَ صَلَواتِنا ويَرفَعونَها نَحوَ الله. ولهذا نَحنُ نُصَلّي لِقدّيسينا.

بِحَسَبِ تَعليمِ الآباءِ القدّيسين، عندَما يَدخُلُ الإنسانُ في مَجالِ التَّوبَة، دائِرَة التّطهير، يَتَقَدَّم باستمرار. القَداسةُ ليست حالة ثابتَة وإنّما هي حالةٌ مُتَحَرِّكَةٌ. هي تقدُّمٌ باستمرار، أكانَ في مَرحَلَة ما بَعد الموتِ مُباشَرةً أَو فيما بَعد المجيء الثّاني للمَسيح. فإذا كان المرءُ يُناضِلُ ويُجاهِدُ لِيَتَطَهَّر، نِعمَةُ الله هي الَّتي تُطَهِّرُهُ وهي الَّتي تُنيرُهُ وهي الَّتي تُقدِّسُه والتّقدُّم يستمرّ. أولئك التّائبون ما قبل الموتِ يتقدّمون ويَنْمونَ ويُصبحونَ مُتَلَقّين لنعمة الله غير المخلوقة. ومن أجل ذلك نصلّي في خدمة الجنّاز من أجل جميع الراقدين.

يقول إبراهيم للغنيّ في المَثَل: "بيننا وبينكم هوّةٌ عظيمةٌ قد أُثبتت حتى إنَّ الّذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون ولا الّذين من هنالك يجتازون إلينا" (لو ١٦:٢٦). المقولةُ هنا هي أنَّ طريقَي الهاوية والفردوس لا يلتقيان وهذا يعني أَنَّ الانتقال مِنْ مكانٍ إلى آخر مُستَحيل[116].

يقول المطران إيروثيوس فلاخوس: "في الواقع الفردوس والهاوية لا وُجود لهما في رؤيا الله للأُمور، وإنَّما هما مَوجودان بالنِّسبَةِ للبشَرِ. اللهُ يُرسِلُ نِعمَتَهُ على كُلِّ البَشَرِ إذ إنَّه يُشرِق شَمسَهُ على الأخيارِ والأشرار. لكن

---

[114] هذا يُفسّر ايضاً النّفق الّذي ينتهي بالنور الّذي يتحدّث عنه أغلب الّذين اختبروا الموت المؤقّت إذ يقول البعض منهم أنهم رأوا نوراً شديد اللمعان يزداد لمعانه ودفئه كلّما اقتربوا منه وإنهم يُحاطون بهذا النور . أحد المسيحيين يتذكّر قول السيّد " أنا هو نور العالم" وقال : " إذا كان هذا هوا الموت فإنني أعرف مَن ينتظرني ".راجع: مودي، د. ريموند أ. :المرجع السابق، صفحة ٥٩.

[115] هذا لا يعني إنَّ القدّيسين لا يُصَلّون لِكُلّ العالمِ ، إنّهم يُصَلّونَ ويَتَوَسّلونَ إلى الله، كونهم في شركَةٍ كَبيرَةٍ مَعَه.

[116] جيّور ، اسبيرو ، قانون يسوع والصلاة من أجل الموتى، صفحة ٦٠.

كُلُّ امرئٍ يشعر بمحبّة الله بطريقةٍ مختلفة، وبحَسَبِ حالَتِهِ الرُّوحيَّة. النّورُ لَه خاصّيّتان: إنّه يُنير ويُحرق. الأبرارُ، عكس الأشرار، يحيَون بهذا النور ويفرحون به"[١١٧].

وبما أَنَّ هنالك مفارقةً بين دَرَجاتِ النُّفوس مِنْ حيثُ جهادُ الإنسانِ وفضائلُه وتقدُّمُه الرُّوحيّ ومدى تفعيل التَّوبة في حَياتِه على الأرض، كذلك تكون غِبطَتهم بالنَّظَرِ إلى أَعمالِهم. فالرَّبّ يَسوع المسيح في تعليمه يقول: "إنّ في بَيتِ أَبي مَنازِلَ كَثيرةٍ وإلاّ فإني كُنتُ قد قُلتُ لكم أنا أمضي لأُعدَّ لكم مكاناً" (يو ١٤:٢). فإنَّ وظائف الملائكة العُليا تكون في المنازل القريبة من الله والأخرى أبعد، ومع ذلك فَمَسكِن كُلّ رُتبَة يُهَيِّئ للمَلائكَة الغِبطَةَ والإكتفاءَ السَّاري بالنِّسبةِ للرُّتب الملائكيّة الأولى. هكذا الصِّدّيقون يُقيمون في مَساكِنَ مُختَلِفَةٍ حَسَبَ جهودِهم[١١٨].

يقول القدّيس الرّوسيّ غريغوري دفويسلوف: "إنّ في بيت أبي مساكن كثيرة، فلو كانت في الحياة الأبدية المكافأةُ متساويةً للجميع، لكان هناك مسكن واحدٌ لا أكثر. وهكذا تكون مساكن القدّيسين كثيرةً، يُقيم فيها الصِّدّيقون حسب درجاتهم.
وبسبب إشتراكهم في الجهاد يغتبطون هم معاً، والَّذين تعبوا كُلُّهم يتسلَّمون أُجرة أتعابهم ولو درهماً كُلُّ واحدٍ (مت ٢٠:٩)، وإن افترقوا بالمساكن الكثيرة؛ لأنَّ الغبطة التي ينعمون بها هناك هي واحدة. لكنّ المكافأة مختلفة لأنّها على قدر الأعمال. فللشَّمسِ مَجدٌ وللقَمَرِ مَجدٌ وكُلُّ نجمَة مُختَلِفَةٌ في المَجدِ عَن غَيرِها. هكذا قيامة الأموات: فالمرتبط بجسده بالإمساك يشبه نجمة الصُّبح؛ والمُزْدانُ بالتّواضع يشبه البدر أي القمر في تمامه؛ والمُزدانُ بإكليل الشهادة لأجل المسيح يشبه الشمس المضيئة. ولهؤلاء جميعاً أمكنة في السموات"[١١٩].

القديس مكاريوس الكبير يقول أيضاً: "إنَّ النّاسَ الحاصلينَ على الغِنى السَّماويّ يُعرفونَ مِنَ الملائكَة القدّيسينَ المُرافقينَ إياهم فَيَقولونَ متعجّبينَ: عظيمٌ الغِنى الذي أحرزه إخوتُنا على الأرض، لأنّهم بذهابهم من هذا العالم قد حفظوا السيّد المسيح في نفوسهم، لذلك يذهبون بفرحٍ عظيمٍ إلى المساكن السماويّة. فيستقبلهم كذلك بفرحٍ عظيمٍ السَّاكنونَ مع المسيح، مُرافقينَ إيّاهُم إلى المَساكِنِ المُعدَّة لهم، وموَشّحينَهم بالثِّيابِ الثَّمينَة "[١٢٠].

مِنْ أَجمَلِ الصُّوَرِ التي كُتِبَت عن وضعيَّة القديسين ما كَتَبهُ وأعلنَهُ القديسُ الرَّسولُ يوحنّا الإنجيليّ في رؤياهُ:
"بعد هذا نَظَرْتُ وإذا جَمعٌ كَثيرٌ لم يستطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ من كُلِّ الأُمَمِ والقَبائلِ والشُّعوبِ والألسنَة واقفونَ أمامَ العَرشِ وأمامَ الخَروفِ مُتَسَربلينَ بثيابٍ بيضٍ وفي أيديهم سَعَفَ النَّخلِ، وهم يَصرخونَ بصَوتٍ عظيمٍ قائلينَ الخلاصُ لإلهنا الجالسِ على العرشِ وللخروفِ. وجميعُ الملائكَة كانوا واقفينَ حَولَ العَرشِ والشُّيوخِ والحيواناتِ

---

117 Hierotheos, Metrop. of Nafpaktos :ref.above, p.p. 8.
118 أنطوني، رئيس دَير القدّيس بندلايمون الرّوسي الأثوني: المرجع السابق، صفحة ١١٦.
119 المرجع نفسه.
120 المرجع نفسه، صفحة ١١٧– ١١٨.

الأربَعَة وخرُّوا أَمامَ العَرشِ على وجوهِهم وسجدوا لله قائلينَ: آمين. البَرَكَةُ والمَجْدُ والحِكْمَةُ والشُّكْرُ والكَرامَةُ والقُدرَةُ والقُوَّةُ لإلهنا إلى أَبَدِ الآبدين. آمين. وأجابَ واحدٌ مِنَ الشُّيوخِ قائلاً لي هؤُلاءِ المُتَسَربلونَ بالثِّيابِ البيضِ مَنْ هُم ومِنْ أَينَ أَتَوا ؟ فَقُلتُ لَهُ يا سَيِّدُ أنتَ تَعْلَمُ. فَقالَ لي هؤُلاءِ هُم الذينَ أَتَوا مِنَ الضِّيقَةِ العَظيمَةِ وقد غَسَلوا ثِيابَهُم وبَيَّضوا ثِيابَهُم في دَمِ الخَروفِ، مِنْ أَجْلِ ذلكَ هُم أمامَ عَرشِ اللهِ ويَخدمونَهُ نَهاراً وليلاً في هَيكَلِه والجالسُ على العَرشِ يَحُلُّ فوقَهُم. لنْ يَجوعوا بَعدُ ولنْ يَعطَشوا بعدُ ولا تَقَعُ عَليهم الشَّمسُ ولا شَيءٌ مِنَ الحَرِّ لأنَّ الخَروفَ الذي في وَسَطِ العَرشِ يَرعاهُم ويقتادهُم إلى ينابيع ماءٍ حَيَّةٍ ويَمسَحُ اللهُ كُلَّ دَمعَةٍ من عيونِهِم. (رؤ٧:٩-١٧).

ب_ ماذا يَحصَلُ لنفوسِ الأشرارِ بَعدَ المَوتِ ؟

كما عَلَّقنا على مثل " لعازر والغني " بأنَّ الملائكة القدّيسين، أو الملاكَ الحارسَ، هي مَن تستقبل أرواحَ الأبرارِ وتوصِلُها إلى الله، هكذا بالمقابل في مَثَلٍ آخرٍ نَرى أنَّ الشَّياطينَ تَستَقبِلُ أَرواحَ الخطأة غير التّائبين.
مطران نافبكتوس في شرحه لمَثَلِ الغَنيّ الجاهل يقول: "الغنيّ الجاهل والغبيّ سَمِعَ صَوتَ الله "أَيُّها الجاهِلُ! في هذه الليلة تُطلَبُ نَفْسُكَ منك؛ وهذه الَّتي أعددتَها لِمَنْ تَكون؟" (لو ١٢:٢٠). إنّ فعل "تُطلَبُ" تفترض الشَّياطين الَّتي تَطلُبُ نَفسَ الخاطىءِ لتَستَملِكَهُ إلى الأبَد"[١٢١].

قلنا إنَّ آباءَ الكَنيسَة يَتَحَدّثونَ عَمّا يُشبِهُ "المحطّات الجمركيّة" حيثُ الشَّياطينُ، الأرواحُ الهوائيَّةُ، تَرغبُ وتَترقَّبُ أَنْ تَحكُمَ أَرواحَ كُلِّ البَشَرِ وإلى الأبد. عندما تَكَلَّمَ الآباءُ عَن هذهِ المَحَطّاتِ الجُمرُكيَّةِ كانوا يَقصِدونَ بذلك الكراهيّةَ والغَضَبَ المستَعِرَ الذي تَحمِلُهُ الشَّياطينُ تُجاهَ البَشَرِ.

في مَثَلِ لعازر والغَنيّ لاحَظنا كَيفَ أَنَّ السَّيّدَ ذَكَرَ إسم لعازر ولم يَذكُرْ اسم الغَنيّ " لأنَّ اسم المُنافقينَ يَبلى" (أم ١٠:٧). وهذا يَرُدُّنا إلى المَقُولَة أَنَّ لعازرَ قد حَقَّقَ كيانَهُ عَكْسَ الغَنيّ الَّذي لم يَمْتَلِكْ الرُّوح القُدُسَ في شَخْصِه بَلْ بَقِيَ بَعيداً عن النِّعمَة الإلهيَّة، عن مَوهَبَة الرُّوح القدس الَّتي للناقصين تكمّل. وهذا يؤدّي بالتّالي إلى القول إنَّ الأشرارَ لا يَستَطيعونَ تَحقيقَ ذَواتِهم بسَبَبِ غياب النِّعمة الإلهيَّة عنهم. يَبْقَونَ عَبيداً للمادّة، وبَدَلَ أَنْ يوجّهوا أَذهانَهم (النُّوس)، إلى الله وجّهوها إلى المادّة واستعبدوا لها. هنا لا بُدَّ من التَّذكيرِ أَنَّ اللهَ لم يوجِد النَّارَ للإنسانِ ولا جَعَلَ الجَحيمَ مِنْ أَجلِنا وإنّما مِنْ أَجلِ الشَّيطان (مت ٢٥:١٤)[١٢٢].

الغَنيّ في هذا المَثَلِ وَجَدَ نَفسَهُ في الهاويةِ ورأى لعازَرَ في حضنِ إبراهيم. هنا الهاويةُ (الجحيم ، آذس) ليسَت جَهَنَّم. جَهَنَّم تكونُ بَعدَ المجيء الثّاني للمسيح، بَينَما أَرواحُ الخطأةِ تَختَبِرُ الهاويَةَ بَعدَ انفصالِها عَن الجَسَد. بحسَبِ

---

121 Hierotheos, Metrop. of Nafpaktos :ref.above,p.p. 5.
122 Theophylact, Blessed : A Commentary on the last judgment, p.p.1

تَعليمِ الآباءِ القدّيسين يكونُ الأشرارُ في حالةِ تَذوّقٍ لَجهنّم عندما يتلقّون نعمة الله، النار غير المخلوقة، المُلهِبة والمحرقة[١٢٣].

ما نقوله هو، أنّه حتّى الأشرار يتلقّون إشعاعات النُّور الإلهيّ[١٢٤]، ولكنْ بما أنَّهم ماتوا وهم غير تائبين، وبدون أَنْ يتوبوا، فيصبحُ النُّورُ الإلهيُّ مَصدَرَ تَعذيبٍ بَدَلَ أنْ يَكونَ مَصدَرَ تَأَلُّه. وتَعودُ خِبرتُهُم لِقُوَّةِ هذهِ النَّار المُحرقة إلى مُستَوى توبَتِهم أَو خَطاياهُم.

الناسُ، كلُّ النّاسِ يَتَلَقَّونَ نَفْسَ النِّعمَةِ الإلهيَّة فتكون لهم إمّا نوراً أو ناراً. الكَنيسَةُ تُصَوِّرُ في أَيقونَةِ الدَّينونَة أَنَّ القدّيسينَ هُم في النّورِ الإلهيّ المُنْبَعث مِنْ عَرشِ الله، ومِنَ العَرشِ نَفْسِه تَنْبَعُ أَنهارُ النَّارِ الَّتي تُحرِقُ الأشرارَ غَيرَ التّائبينَ إلى دَرَجَةٍ تَكون لهُ ناراً لا تُطفأ [١٢٥].

القدّيس مكسيموس المُعترِف يُميِّز بينَ البَشَرِ ويقولُ إنَّ بعضَ الناسِ يتَّحدونَ بالنِّعمَة، والبَعضَ الآخرَ يحيونَ خارج النِّعمة، فيتألَّهُ البَعضُ بالقوى التي اقتنوها داخل كيانهم، أمّا الآخرونَ فيلبَثونَ خارِجاً وتكونُ نارُ الرُّوحِ القُدُسِ المؤلِّهة بالنسبَة إلى هؤلاء لَهَباً خارجيّاً، لا يحتَملُهُ كُلُّ الذينَ تقاومُ مشيئتُهم الله[١٢٦].

الكَنيسَةُ بشكلٍ عام توضحُ لأبنائها أنَّ مَن لا يَتوب قَبلَ الموتِ لا يَستطيعُ الدُّخول إلى ملكوتِ السَّمواتِ، ولكنَّه يَختبرُ فقط قوَّةَ اللهِ المُحرِقَةَ، ولا يستطيع ان يُشارِكَ بصلاحِ الله وفرحِه[١٢٧].

هذه الوضعيّة للأشرار لا تتغيَّر، والحُكمُ عليهم غيرُ متغيِّر، وهو تذوّقٌ للحُكم النهائيّ يوم الدينونة. "فإنَّه هَيِّنٌ عندَ الرَّبِّ أَن يُجازيَ الإنسان بحَسَبِ طُرُقِه يَومَ الموت" (سيراخ ١١:٢٦). وأيضاً "كما وُضِع للناسِ أن يموتوا مَرَّةً ثُمَّ بعد ذلك الدَّينونَة" (عب ٩:٢٧).

أرواحُ الراقدين الأشرار، كما الأبرار، يحصلون مباشرةً على نتيجةِ أفعالهم وإنْ بِشَكلٍ غَير كاملٍ.

الأشرار سينالون الحُزنَ والأسى، هذا العذاب يُشبه إلى حدٍّ بعيد الرغبة بالتّحرر من سجنٍ مطبقٍ دون أيَّة إمكانيّة للنوم فيه أو للأكل أو للقاءِ أيّ كائنٍ آخر، وهلمَّ جرّا... هذا الألم وما يستتبعُهُ يجعل من الوضع "جهنّم حقيقيّة" كُلُّ ذلك لأنَّهم أَصَرّوا، باختيارِهم وإرادَتِهم، على قرارِهم بالبُعد عَنْ مَصْدَرِ سَعادَتِهم وفَرَحِهم، عن الله.

أفرام السّريانيّ القدّيس يقولُ إنَّ عَذابَ الأَشرارِ بَعدَ الموتِ يَكُونُ بأنواعٍ عدَّةٍ وطُرُقٍ متعدِّدَة، حيث الوقتُ لم يَعُدْ وقتَ تَوبة، يقول:

---

123 حول هذه النار دار النقاش بين مجمع " فلورارا– فلورنتسا "، المنادي بعقيدة " المطهر "، وبين القدّيس مرقس الأفسسي الَّذي ضَحَدَ هذا المعتقد .

124 في التُّراث المسيحي هذا النور هو نَفسُه الذي رآه التلاميذ على طور ثابور والإتحاد بهذا النور يَسكُبُ على المؤمنينَ الصَّالحينَ الشُّعور بالسَّلامِ والفَرَح.راجع: **Mileant, Bishop Alexander :ref.above, p.p 4.**

125 آليفيزوبولوس، الأب أنطونيوس : زاد الأرثوذكسيّة ،ترجمة الأب قسطنطين ينّي، صفحة ٣٢٥.

126 لوسكي ، فلاديمير : المرجع السابق ، صفحة ١٤٩.

127 **Hierotheos, Metrop. of Nafpaktos :ref.above, p.p 8.**

"كما توجد طُرُقٌ عديدَةٌ للخلاص، توجد كذلكَ أماكنُ عِدَّةٌ في ملكوت السموات. وكما توجد طُرُقٌ عديدةٌ للخطيئة والإثم، توجد طُرُقٌ عديدة للعذاب في الجحيم... إنّهم سيتَحَسَّرونَ ويذرفونَ دموعاً مُرَّةً حين يسمعون فليُقذف بالخطأة إلى الجحيمِ" (مز٩:١٧) أو الحكم المُبرَم "خُذ الذي لكَ واذهب" (مت ٢٠:١٤). تُرى إلى أين يذهبون؟ إنَّهم لسوف يَذهبونَ إلى حيث قيلَ لهم :"اذهبوا عنّي يا ملاعين إلى النار الأبديَّة" (مت ٢٥:٤١). وسيسمَعونَ القول: "اربطوا يَديه ورجلَيه وخُذُوهُ واطْرَحُوهُ في الظُلمَة الخارجيَّة" (مت ٢٢:٣).

إنّهم سيُجمَعونَ كالزُؤان ويُطرَحون في أتُونِ النّار"[١٢٨]. ويُضيفُ أيضاً: "إنّهم بعد انفصالهم عن كُلِّ الصِّدّيقين سيبتعدون عن الله، ولا يستطيعون، تالِيًا، أن يُعاينوا الفرحَ وذلك النور الحقيقيّ، وسيقتربون من أماكن العذاب ويتوزّعون فيها"[١٢٩].

القدّيس إغناطيوس بريانشانينوف يؤكّدُ تنوُّع العذابات للأشرار بعد الموت بمقياس حالَتِهم ومدى انصياعِهم لضَمائِرِهم فيقول:

"عَدِّد بتواتُرٍ التحسُّرات الأبديّة التي تَنتَظِرُ الخَطأةَ... استحضِر لنَفسكَ البَحرَ الرَّهيبَ الذي لا قياس له، والسِّجنَ الذي هو الجحيم (رؤ ٢٠:١-٣). هذا هو الواقع بالنِّسبَة للنّاس. فَسِجنُ الجحيمِ يتألَّفُ مِنْ أَقسامٍ عِدَّة، وأَنواعٍ كثيرةٍ مِنَ العَذاباتِ بها يَتَقاضى كُلُّ إنسانٍ أُجرَةَ أعماله التي قام بها أثناء حياته على الأرض. والسِّجنُ أبديٌّ في كُلِّ الأقسامِ، وكذا هي العذابات. وفيه تُهَيمِنُ الظُلمَةُ الأبديَّةُ التي يَعسرُ اختراقُها والنّفاذ إليها، وفي الوقت عينه تشتعلُ النارُ التي لا تُطفأ، بقوَّةٍ مماثلَةٍ للظلام الدّامس. ليس في الجحيم نهارٌ، بل ليلٌ أبديٌ فقط. النَّتانة في الجحيم لا تُطاقُ... الجحيم لا يَهدأ ولا ينام، بل يقرض ويقرض ملتهماً سجناء الجحيم دون أن يُتلفَهم أو يسحق وجودهم، وأيضاً دون أن يَشبَع... فهؤلاء يكتَوونَ في الجَحيمِ في ألَمٍ لا يُطاق، وعذاباتٍ هي أشدُّ أمراضِ النَّفسِ إيلاماً، أعني بها اليأس"[١٣٠].

مع ثَباتِ وَضعيَّةِ الأشرارِ نرى أنَّ الكَنيسةَ ثابتَةٌ على الرَّجاءِ برَحمةِ الله الواسعَة ولا تَفقُدُ الأمَلَ، تُصَلّي متَّكلَةً على رحمة الله ومحبّته للبَشَرِ لا على عدله. فتُصَلّي من أجل جميعِ الراقدين حتى أولئك المضبوطين في الجحيم وتقول: "... أنتَ يا ربَّ المجدِ الدائم، الإبن الحبيبَ للآب العَليّ... أرح نفوسَ عبيدكَ السابقِ رقادُهم من آبائنا وإخوتنا، وسائر أقاربنا بالجسدِ وجميعِ أبناء الإيمان... يا مَنْ أهَّلنا لأنْ يَقبَلَ منّا في هذا العيدِ الخلاصيِّ توسُّلاتٍ استغفاريَّةً مِنْ أجلِ المضبوطينَ في الجحيم، ومَنَحَنا آمالاً عظيمةً في أن يُرسِلَ إلى المضبوطينَ فيهِ راحةً منَ المُحزناتِ المُستَوليَةِ عليهم، وتعزيةً من لَدُنْهُ"[١٣١].

---

[128] القديس أفرام السرياني ، ترجمة الأب أفرام كيرياكوس، صفحة ٥٥٢.

[129] المرجع السابق، صفحة ٥٥٣.بالطَّبع الحديث هنا عن حالة العذاب الَّتي تختلفُ مِنْ فَردٍ إلى آخر.

[130] بريانشانينوف، القديس اغناطيوس: تقدمة إلى رهبنة معاصرة ، ترجمة الأب منيف حمصي، صفحة ١٥٢.

[131] راجع: يازجي ، الأسقف يوحنّا (إعداد) : كتاب خدمة الكاهن ، صفحة ٤٨٤-٤٨٥.

الله يسعى دائماً للإقتراب من الإنسان[١٣٢]. حتّى انَّهُ كما يقول الرّسول القدّيس بطرس: إنَّ "المسيحَ أيضاً تألَّمَ مَرَّةً واحِدَةً من أجلِ الخطايا، البارُّ مِنْ أَجلِ الأثَمَة، لكي يُقَرِّبَنا إلى الله مُماتاً بالجَسَد ولكن مُحيًى في الروحِ، الذي فيه أيضاً ذَهَبَ فَكَرَزَ للأرواحِ التي في السِّجنِ إذ عَصَتْ قديماً حينَ كانت أناةُ الله تنتَظِرُ في أيامِ نوح..." (١بط ٣:١٨-٢٠) لكن الإنسانَ الشِّرّيرَ يَرفُضُ ذلك الحُبّ الإلهيّ في حياتِه على الأرض، ويبقى مُصِرّاً على رفضه ، ويبقى إلى ما بعد الممات متمسِّكاً بهذا الرَّفض ويتشبَّث به. وهذا الرَّفضُ هُوَ أحدُ معاني "التجديف على الرُّوح القدس"[١٣٣]، الذي قال عنه الرَّبُّ يَسوعُ إنَّهُ لن يُغفَر لا في هذا الدَّهر ولا في الدَّهر الآتي (مت١٢:٣١-٣٢). الشِّرّيرُ لا يسمح لمحبَّة الله التي تحتضنُه وتُخَلِّدُهُ بأن تَدخُلَ إلى قَلبِه، والله لا يَدخُلُ عُنْوَةً بَلْ كما يقول الرَّبُّ:" هاءنذا واقفٌ على البابِ وأقرَع، إنْ سَمِعَ أحَدٌ صَوتي وفتحَ البابَ أدخُلُ وأتَعَشّى معهُ وهو معي" (رؤ ٣:٢٠).

ج- بالنِّسبَةِ لِلَّذينَ لَمْ يَعرِفوا المَسيحَ .

الذين لَم يَعرفوا الرَّبَّ يسوع هُم متعدِّدو الوجوهِ والأنواعِ ، فَمنهُم مَنْ ماتَ وهوَ طِفْلٌ ولم يَعتَمِد باسمِ الرَّبِّ؛ ومنهُم مَنْ وُلِدَ في بُقعةٍ بَعيدةٍ كُلَّ البُعدِ عَن البشارةِ بالمسيح، ولم يَصِلْهُم أَيُّ صَوتٍ يُنادي: "توبوا فقد اقتربَ ملكوتُ السموات"؛ ومنهم مَنْ وَصَلَت إليه غيرُ البِشارَة، تعاليمُ مُشَوَّهَةٌ ومُشَوِّهَةٌ لِصورَةِ السَّيد، تُدينها المَسيحيَّةُ لأنَّها تؤدِّي بِمُعْتَنقيها إلى الهَلاك. ويوجد أيضاً الكثير من الناس الذين وإن ماتوا في الخطايا فإنَّهم قد وضعوا ههنا على الأرض بداءَة توبتهم وحَوَوا في نفوسِهم بذورَ الصلاحِ.

بالنسبَةِ للأطفال غيرِ المُعَمَّدين، فالكَنيسةُ تُعَلِّم ما قالهُ الرَّبُّ يسوعُ وأوصى به: "مَن لا يولَد منَ الماءِ والروح لا يَدخُل ملكوت السموات" (يو٣:١٥). وأيضاً قولَه: "مَن آمَنَ واعتَمَدَ خَلُصَ ومَنْ لا يؤمن يُدان" (مر١٦:١٦).

مِنْ هذا المُنطَلَقِ تُشَدِّدُ الكنيسةُ على فعاليَّةِ سرِّ المعموديّة كعطيَّةِ الله لخلاصِ البَشَر، والطفلُ وإنْ كانَ يبدو بريئاً بسبب عدم وعيه للخطيئة، إلاّ أنَّه مولودٌ منَ الجَسَد وبما أنَّ المولودَ منَ الجسدِ جَسَدٌ هو، فهو غيرُ متقدِّسٍ بالنعمَة لأنَّ القداسةَ لا توجد فينا بالفطرةِ وإنّما تحتاج إلى جهدٍ بشريٍّ يتآزر بالنعمَة الإلهيّة، بنعمةِ الرّوحِ القُدُس، وكلاهُما غير متواجدٍ في الأطفال بالإضافة إلى أنَّ الظُلمَةَ قبلَ المعموديَّةِ تغشى الذهن من جرّاءِ خطيئةِ الجَدَّين الأوَلَيْن على ما يقول القديس نيقوديموس الآثوسيّ[١٣٤].

الأطفالُ وإنْ كانوا لم يُخطئوا على صعيد الممارسة العمَليَّةِ إلاّ أنهم مولودون في بيئةِ الخطيئة، في عالمٍ توارثَ نِتاجَ الخطيئةِ، أي الفَسادُ والموت.

---

[132] بندلي ، كوستي، ومجموعة من المؤلفين :مدخَل إلى العقيدة المسيحيّة ، صفحة ٢٨٣-٢٨٤.

[133] بندلي، كوستي : الله والشَّرّ والمَصير، صفحة ٢٥٢.

[134] الآثوسي، القديس نيقوديموس: نصائح أو إرشادات روحيّة في حفظ الحواس الخمس ، ترجمة الأب منيف حمصي، صفحة ١٦.

المعموديَّةُ التي هي الولادةُ منْ فوق، فيها الخلاصُ والإستنارةُ والقداسَةُ، وكُلُّ مَنْ لا ينالُ هذا السِّرّ لا يَستنيرُ بنورِ المسيحِ القائم من بينِ الأموات. لذا يقول القدّيسُ غريغوريوسُ اللاهوتيّ : "الأطفالُ غيرُ المُعَمَّدين لا يُمَجَّدونَ ولا يُعَذَّبونَ، لأنَّهم وإن كانوا غيرَ مُستَنيرينَ وغَيرَ مُقدَّسينَ بالمعموديَّة، إلاّ أنَّهم لم يرتكبوا خطيئَةً شخصيَّةً، لذا فهم لا يَستَحقّونَ كرامةً ولا قَصاصاً "[١٣٥].

المغبوطُ أوغسطين يَقولُ إنَّ مثل هؤلاء الأطفال يكونون في حالَةِ حرمانٍ من المَجدِ الإلهيّ، ولكنَّهم ليسوا في حالةِ عذابٍ كالأشرارِ بل في حالةٍ وسطى بينَ الملكوتِ وجهنَّم كفترةٍ مؤقَّتَة لينتقلوا بعدها إلى الملكوت السماوي.

القدّيس غريغوريوس النيصصي يرى أنَّ الأطفالَ غيرَ المُعَمَّدينَ يُمكن أن ينعموا بحالَةٍ من الغبطةِ والبركَة الإلهيّة.

الكَنيسَةُ تترُكُ الحُكمَ والدينونَةَ لله في مصير الأطفال[١٣٦]، وتنظُرُ إلى براءتهم وإلى ما قالّه الرّبُّ يسوعُ في تعليمه لتلاميذه: "في تلكَ السَّاعة تقدَّمَ التلاميذُ إلى يَسوعَ قائلينَ فَمَنْ هو أعظم في ملكوت السَّموات، فدعا يسوعُ إليه ولداً وأقامَهُ في وَسَطِهم وقال: الحقَّ أقولُ لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثلَ الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السَّموات"(مت ١٨:١-٣)؛ وقولِه: "دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم لأنَّ لمثلِ هؤلاء ملكوت الله"(لو ١٨:١٦).

بولسُ الرَّسول واضحٌ في تعليمه منْ جهَةِ الذين لا يَعرفون الناموس ولا المسيح إذ يقول: "لأنَّ كُلَّ مَنْ أخطأَ بدونِ الناموسِ فبدونِ الناموسِ يَهلكُ، وكُلُّ مَنْ أخطأَ في الناموسِ فبالناموسِ يُدان. لأنَّ ليسَ الذينَ يَسمَعونَ الناموسَ هم أبرارٌ عندَ اللهِ بَلْ الذينَ يَعمَلونَ بالناموسِ هم يُبَرَّرون، لأنهُ الأممُ الذينَ ليس عندَهم الناموس متى فعلوا بالطبيعةِ ما هو في الناموسِ فهؤلاءِ إذ ليسَ لهم الناموس هم ناموسٌ لأنفُسهم، الذينَ يظهرونَ عمَلَ الناموسِ مكتوباً في قلوبِهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجّةً في اليومِ الذي فيه يَدينُ اللهُ سَرائرَ النَّاسِ حَسَبَ انجيلي بيسوعَ المسيح" (رو ٢:١٢-١٦).

إنّ الذين تركوا الحياة وهم تائبون إلى الله ، أي عائدون إليه، لكنَّهم لم يتمكَّنوا من ترسيخِ هذه العودة من خلال أعمالهم ومواقفهم بسببٍ من الضُعف البَشريّ مما يعتري الإنسان من تقلباتٍ واضطراباتٍ أو بسبَبِ مَوتٍ مُفاجِئٍ، هؤلاء هم بالحَقيقَةِ في شَرِكَةٍ مع الله وبمعيَّته، ولكن هذه المَعيَّة لم تكتمل بَعدُ نَتيجَةَ العَوائقِ التي جَعَلَها هذا الإنسانُ في مَسيرَته على وَجهِ البَسيطَة. من هنا إنَّ الفَرَحَ والعذابَ يتنازعان هؤلاء، ففرحُ اللقاء يتواجَدُ عندَهم مع عذلبِ البعاد[١٣٧].

إنَّ فكرَ الكنيسَةِ القديمَ يقولُ إنّهُ، قبلَ الدَّينونَةِ الأخيرَة، يبقى خلاصُ المحكومِ عليهم ممكنًا (باستثناء الذينَ جَدَّفوا على الرُّوحِ القدُس، أو ارتكبوا معاصيَ خطيرةً وماتوا بدونِ توبَة)، وذلكَ بِفَضلِ صلاةِ أعضاء الكنيسَةِ الأرضيَّة. منْ هنا تتَّخذُ "الصّلاةُ من أجلِ الرّاقدين" أو "ذكرُ الراقدِ بجانبِ الحملِ الإلهي في القدّاس الإلهيّ" أهَمِّيَةً كُبرى في ضميرِ الكنيسَةِ القديمَة، وفي الكنيسَةِ الأرثوذكسيَّةِ الحَيَّةِ اليوم[١٣٨].

---

[135] مجموعة من المؤلفين :سألتَني فاجَبتُكَ، صفحة ٢٠١.

[136] المرجع نفسه، صفحة ٢٠٢.

[137] بندلي ، كوستي : الله والشَّر والمَصير، صفحة ٢٤٤.

[138] بريانشانينوف، القديس إغناطيوس:المرجع السابق،صفحة ٢٥.

إنَّ الإنسانَ، كما قُلنا في البَدء، مخلوقٌ على صورة الله ومثاله وبالتالي هو مخلوقٌ قد جُبِلَ بيَدَي الله، مجبولٌ بالمحبّة الإلهيَّة. هذه المحَبَّةُ هي بحَدِّ ذاتِها آداةُ قياسٍ لكُلِّ عملٍ يَعمله الإنسان أمؤمناً كانَ أم غيرُ مؤمنٍ. بالنسبة للمؤمنِ هي أُمُّ الفضائل المسيحيّة وميزانُها: "إنْ كُنتُ أتكَلَّمُ بألسنة النَّاس والملائكَة ولكن ليسَ لي مَحَبَّةٌ فقد صرتُ نُحاساً يَطِنُّ أو صنجاً يَرِنُّ، وإنْ كانت لي نُبُوَّةٌ وأعلَم جميع الأسرار وكُلَّ علمٍ وإنْ كان لي كُلَّ الإيمان حتى أنقُلَ الجبالَ ولكن ليسَ مَحَبَّةٌ فلستُ شيئًا. وإنْ اطعمت كُلَّ أموالي وإنْ سَلَّمتُ جَسَدي حتى احترق ولكن ليسَ لي محبَّةٌ فلا أنتَفعُ شيئًا" (١كو ١٣:١-٤).

إنَّ الصُّورَةَ الإلهيَّةَ وإنْ شُوِّهت بالخطيئة إلاّ أنّها لم تَنتَف، وهي تَبقى مُخاطِبَةً للكائنِ البَشَريّ في كُلِّ تَصَرُّفٍ وفي كُلِّ خطوَةٍ يخطوها تجاهَ نَفسه وتجاهَ الآخرينَ، وعلى قياسِ هذه الأعمالِ تكونُ المكافأة. القدّيس غريغوريوس النِّيصصي يؤكّدُ ذلكَ بقوله: "دينونةُ الله عادلَةٌ وهي تكون على قياسِ استعدادِنا نحوَ الآخرين"[١٣٩] .

❖ هَلْ مِنْ وجودٍ للمَطهَرِ؟

لقد حَدَّدَ الكاثوليكيّونَ تَعريفَهُم للمَطهَرِ[١٤٠] في مجمعَي ليون وفلورنسا بالتّالي: "إنّ الَّذين يخرجون من هذه الحياة، وهم نادمونَ حَقيقَةً وفي محبّة الله، لكن قبل ان يكفّروا عن خطاياهم وإهمالاتهم بأعمال توبةٍ وافية، تتطهّر نفوسُهم بعد الموت بعقوبات مُطَهِّرة"[١٤١] .

يقول الأب لويس برسوم في كتابه "المطهر"[١٤٢] ما يلي: "إذا كان الإنسانُ بين بين، أي لا صالحاً الصَّلاح كلّه ، ولا شرّيراً الشّرّ كلّه، كما هي الأغلبيّةُ السّاحقَةُ من بَني البَشَر، فإنّه يَذهَبُ إلى المطهَر، إلى ما شاء الله. أو بالأحرى كما يقول الإنجيل: «حتّى يُوفِيَ الفَلْسَ الأخير» (مت ٥:٢٦) الَّذي عليه للعدالة الإلهيَّة [١٤٣]. أمّا عن مكان المَطهَر فيقولُ توما الأكوينيّ: «إنَّهُ في أَسفَلِ الأرض حَيثُ هي جَهنَّم، بحيث أَنَّ النّارَ الَّتي تُعذِّبُ الهالكينَ في جَهنَّم، هي عَينُها تُطَهِّرُ الصَّالحين في المَطهَر. وأَمّا الوقتُ المُحدَّدُ لامتحان المَطهَر، فلا سَبيل إلى معرفَته، لكنّه يدوم

---

[139] كلمات آبائيّة ، الجزء السادس،المرجع السابق، صفحة ٦٦٣.

[140] عقيدة المطهَر عقيدة كاثوليكية حدَّدها كلٌّ من مجمع لاتران المسكوني سنة ١٢١٥ ، ومجمع ليون المسكوني سنة ١٢٧٤، ومجمع فلورنسا المسكوني سنة ١٤٣١، ومجمع تريدنت المسكوني (١٥٤٥ – ١٥٣٦). وأيّدها تأييداً كاملاً آخر مجمع مسكوني ، ألا وهو المجمع الفاتيكاني الثّاني . راجع : شنودة الثالث، قداسة البابا: لماذا نرفض المطهر؟ ، صفحة ١٨.

[141] المرجع نفسه، صفحة ١.

[142] لدى البابا شنودة الثالث ،المرجع نفسه، صفحة ١٥٣ و١٥٤.

[143] المرجع نفسه، صفحة ١٤.

إلى أن تتطهَّر النَّفسُ من كُلِّ إثمٍ وعقاب، وعندئذ تدخُلُ مُطَهَّرَةً إلى النّعيمِ السَّماوي)). وبالطبع، ينتفي المطهَرُ بَعدَ الدَّينونَةِ العامَّة: ((بعدما يُصدر الدّيّان الأعظم حُكمَهُ لن يكونَ هناك غيُر السَّماءِ والأرضِ))".

إذاً المَطهَرُ هو مَكانٌ أو حَالةٌ تَمُرُّ بها النُّفوسُ الَّتي ستكونُ في المَلَكوتِ بنهايَةِ المَطاف، والَّتي عليها، أي النُّفوس، أَنْ تَتَطَهَّرَ تَكفيراً عَن بَعضِ الذُّنوبِ أو الخطايا لتُوفِيَ دُيُونَها أَمامَ العَدلِ الإلهيّ[١٤٤].
ويوضحُ الأبّ ريتشارد فيليكس الفَرْقَ بَينَ المَطهَرِ والجَحيمِ فيقولُ: "هناك اختلافٌ كبيرٌ بَينَ الجَحيمِ والمَطهَرِ؛ فالأوَّلُ أَبَديٌّ وثابتٌ، أمّا الثّاني فهو مَعْبَرٌ ومؤقَّتٌ. الأرواحُ في المَطهَرِ هي أرواحٌ مُخَلَّصَةٌ تَتَطَلَّعُ إلى الفِردَوسِ الَّذي سَتَصِلُ إليه بَعدَ وَقتٍ مُعيَّنٍ، أَمّا الأرواحُ في الجَحيمِ فهي يائسَةٌ بدونِ رَجاءٍ أو حُبٍّ بعَكسِ الَّتي في المَطهَرِ... في الأَبَديَّةِ ليسَ سوى حالتَين: الجنّة أو الجحيم. المَطهَرُ سَيَنتَهي في اليومِ الأخيرِ"[١٤٥].

يَرفضُ مُعظمُ اللاهوتيّين الأرثوذكسيّينَ فكرَةَ المَطهَرِ، بأَنَّ الأرواحَ تَذهَبُ إليه لتُكَفِّرَ عَنْ ذُنوبِها بالعذابِ، بشَكلِه هذا على الأقلّ. المُشكلَةُ الَّتي يَراها الأرثوذكسيّونَ حَولَ المَطهَرِ، لا بَلْ حَولَ مَفهومِ سِرِّ الفِداءِ كُلِّه، هي مُرتَبطَةٌ بالمفاهيم السّكولاستيكيّة ، القانونيَّة، الحقوقيَّة، في الفكرِ الغَربيّ.
الحُبُّ الإلهيُّ اللامتناهي للإنسانيّة جمعاء هو المحورُ الأساسُ في التَّعليمِ الأرثوذُكسيّ. منْ هذا المُنطَلَقِ تَنتَفي كُلُّ المقولاتِ المتعَلِّقَةِ بإيفاءِ الدُّيونِ للعدالةِ الإلهيَّةِ عَبرَ عُقوباتٍ لا يُدركُ الإنسانُ مدى هَوْلِها وقَساوَتِها في "المَطهَرِ"، الأَمْرُ الّذي يَجْعَلُ منْ هذا المَطهَرِ صُورَةً قاتمَةً عَنِ اللهِ وعَنِ الحياةِ بَعدَ الموتِ.

الإنسانُ، بحسَبِ تَعليمِ الآباءِ القدّيسينَ، لا يَستَطيعُ أَنْ يَفديَ حتى نَفسَهُ، فالفداءُ أَتى بالرَّبِّ يسوع المسيح الَّذي سَفَكَ دَمَهُ منْ أَجلِنا على الصَّليب: "مُتَبَرِّرينَ مجّاناً بنعمَتِه، بالفداءِ الَّذي بيسوعَ المسيحِ، الَّذي قَدَّمَهُ اللهُ كَفّارَةً بالإيمانِ بدَمِه، لإظهارِ برِّه، منْ أَجلِ الصَّفحِ عَنِ الخطايا السّالفة" (رو ٣:٢٤-٢٥). وحتّى هذه الذَّبيحةُ، ذَبيحَةُ المسيحِ، قَد قُدِّمَتْ لا لإرضاءِ الآبِ لأنَّهُ غاضبٌ، بَلّ لأنَّ الذَّبيحَةَ تَعني ضمناً آلآمَ المسيحِ ومَوتَهُ الَّتي من خلالِها تَمَّ شفاءُ طَبيعَتِنا البَشَريَّةِ وتَحريرُها وتَقديسُها وتَخْليصُها وتأليهُها. الذَّبيحةُ قُدِّمت منْ أَجلِنا نَحنُ ولأن: "ليس إنَّنا نَحنُ أحببنا اللهَ، بَلْ هو أَحَبَّنا، وأَرسَلَ ابنَهُ كَفّارَةً عَن خطايانا" (١يو ٤:١٠). وأيضًا: "إنْ أخطأ أحدٌ، فلنا شَفيعٌ عندَ اللهِ الآب، يسوعُ المسيحُ البارّ، وهوَ كَفّارةٌ لخطايانا، ليسَ خطايانا فقط، بل لخطايا كُلِّ العالمِ أيضًا" (١ يو ٢:١-٢). إنَّ اعتبارَ كفّارةِ المسيحِ غيرَ كافيَةٍ للخلاص، وَالاعتمادَ على عذابِ الإنسانِ في المَطهَرِ، هُوَ تَعْليمٌ مُخالفٌ الإيمانَ القويم.
من هذه النّاحيةِ تَرى الغالبيَّةُ بأَنَّ المؤمنينَ الرَّاقدينِ لا يَتعذَّبونَ أَبداً بالمَعنى الغربيّ للكَلمَة. القدّيسُ يوحنّا السُّلَّميّ يقولُ أَنْ لَيسَ بَعدَ الموتِ منْ مَكانٍ سوى النَّعيمِ أو الجَحيم. والقدّيسُ غريغوريوسُ اللاّهوتيّ في رِثاءِ أَخيهِ قيساريوسَ يَقولُ أَنَّ المرءَ يُتابعُ بَعدَ الموتِ حَياتَهُ بلَمَعانٍ أو ظَلامٍ حتى يَومِ الدّينونة[١٤٦].

---

[144] مجموعة من المؤلفين : سألتني فأجبتُك ، صفحة ٣١٨.
[145] Felix, Rev. Richard: After Death What , pages 9.
[146] مجموعة من المؤلفين: سألتني فأجبتك ، صفحة ٣٨.

لكن، بالمقابلِ هناكَ رأيٌ آخَرُ يقولُ أَنَّهُ رُبَّما يَتعَذَّبونَ، غَيرَ أَنَّ لعذابهِم طابَعاً تَطهيريّاً وليسَ تكفيريّاً[١٤٧]؛ بمعنى أَنَّ الفَسادَ لا مَكانَ لَهُ في الحياةِ الفردَوسيَّة، بحضرَةِ الله. والَّذي سَيخلَعُهُ الإنسانُ ويَتطَهَّرُ منهُ هو الفسادُ والموتُ اللَّذانِ التَصَقا بالإنسانِ بسَبَبِ الخَطيئَة. يقولُ القدّيسُ يوحنّا الذَّهبيّ الفمِ في رسالَتِه عَنِ القيامَةِ منَ الأموات:

"الموتُ والفسادُ إنَّما دَخلا بالخطيئَة... سأَخلَعُ عَنّي هذا الشَّيءَ الغَريبَ الَّذي لا يناسبُني، ولكن هذا الشَّيءُ الغَريبُ ليسَ هو الجَسَدَ وإنّما الفَساد. فالحياةُ الجديدَةُ لا تُبطِلُ ولا تُلْغي الجَسَد، وإنَّما تلغي ذلكَ الَّذي كان مُتَعَلِّقاً بالجَسَدِ أَي الفَسادَ والموت"[١٤٨].

فالمؤمنُ الَّذي يَموتُ في نعمَةِ الله، يَغفرُ اللهُ لَهُ ذنوبَهُ، ولا يَفرضُ عَليه عُقوباتٌ للتَكفيرِ عنها، لأنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ المسيحَ، حَـــمَلَ اللهِ الرَّافعَ خطيئَةَ العالم، هُوَ وَحْدَهُ الَّذي يُخلِّصُنا ويُكفِّر عَنَّا. ومِنْ هذا الرَّأي يَذهَبُ البَعضُ إلى القَولِ بأَنَّ الكَنيسَةَ الأرثوذُكسيَّةَ تَجهَل التّمييزَ بَينَ الجَحيمِ والمَطهَر، بمعنى أَنَّ الكَنيسَةَ تُصَلّي مِنْ أَجلِ جميعِ الأموات ولا تَقبَلُ بالتّالي أَنْ يَكونَ هناك بَينَهُم مُنذُ الآنَ مَنْ هو هالكٌ إلى الأبَدِ ولا رَجاءَ لَهُ البَتَّةَ. والحياةُ ما بَعدَ القَبرِ ليست إلاّ تَكمِلَةً لمصيرِ المَيْت، مَعَ تَطهيرِهِ وتَحريرِه. وهي أَيضاً شفاءٌ، ونُضجٌ، وانتظارٌ خَلاّق[١٤٩].

هناك رأي آخر يتركُ الموضوعَ مُعَلَّقًا ويَتحاشى الدُّخولَ فيه، على حَسَبِ قولِ القدّيسِ أنطونيوسَ الكَبير: "انتبه لنَفسكَ يا أنطونيوس، فهذه الأمور مِنْ قَضاءِ الله، وليسَ لكَ أَنْ تَخترِقَها" [١٥٠].

تعليم أوريجنّس عن "استعادة الكُلّ" **Apokatastasis** مَفادُهُ أنّ عقابَ الشياطينِ والخطأة في الجحيمِ سوف ينتهي يوماً، وسَوفَ يُستَعادُ الجَميع[١٥١]. هذا التعليمُ أُدينَ كَهرطَقَةٍ في المجمَعِ المَسكونيّ الخامسِ المُنعَقِدِ في القسطَنطينيَّةِ سَنَةَ **٥٥٣م**[١٥٢].

القدّيس مرقس إفجينيكوس[١٥٣]، في عظاتِه وتَعليمِه حَولَ موضوعِ النّارِ المُطَهِّرَة، يُعطي حُجَجاً ضِدَّ وُجودِ النّارِ المُطَهِّرَةِ غَنيَّةً جدّاً، نَختَصِرُها بالآتي[١٥٤]:

بما أَنَّ الشَّوقَ للإلهيّات، هذا الحُبَّ نَفسَهُ يُطَهِّرُ النَاسَ ويجعَلُهُم صالحينَ، لِمَ لا يُمكنُ لنَفسِ الشَّيءِ أَنْ يَحصَلَ بَعدَ الموت؟ ألا يُمكنُ لهذا التّوقِ أَنْ يُطَهِّرَهُم منَ الخطايا الصَّغيرة، دونَ الحاجَةِ إلى نارٍ مُطَهِّرَةٍ كَهذه؟

---

147 وير ، تيموثي : المرجع السابق ، صفحة ٨١.

148 المسكين، الأب متّى : القيامة والصعود ، صفحة ٢١٤.

149 تورانسيف ، الأب الكسندروس : مقالة بعنوان " مقاربة عن الإسكاتولوجيا الأرثوذكسيّة" ، في كتاب : الله حيّ ، صفحة ٥١٨ .

150 وير، تيموثي : المرجع السابق ، صفحة ٨١.

151 الذهبيّ الفم، القدّيس يوحنّا ، شرح إنجيل متّى، الجزء الأول، ترجمة د. عدنان طرابلسي، صفحة ١٣٢.

152 **Theophylact, Blessed:Ref.above, p.p.2.**

153 القدّيس مرقس افجينيكوس هو أسقف أفسس كان أحد المواجهين لمجمع فيرارا – فلورنتسا الَّذي ثبّت عقيدة المطهر ، وقد اعتمد بشكل خاص في تفنيده لهذه العقيدة على مثل الرّب يسوع : لعازر والغني.

154 تعليم القديس مرقس حول " المطهر" تجده لدى :

Hierotheos, Metrop. of Nafpaktos :The purifying Fire,p.p. 7-13.

إنَّهُ لَمُتوافِقٌ مَعَ صَلاحِ اللهِ أَلاّ يَغُضَّ النَّظَرَ عَن الإيجابيّاتِ الصَّغيرةِ أَو يُعاقِبَ على الخطايا الصَّغيرةِ. لكنّ الصَّلاحَ القَليلَ مُقابِلَ الشُّرورِ الكَبيرةِ لا يَستَحِقُّ أَيَّةَ مكافأة. وليس من الضروري أن الشَّرَّ القَليل المفعول من قِبَلِ أولئك الَّذين قاموا بأفعالِ الفَضائلِ الكَبيرَةِ يَحدو بِهِم أَنْ يأتوا إلى المحاكمة. لهذا بالضَّبط يَدعو إلى عَدمِ حاجَةِ الوُجودِ للنّارِ المُطَهِّرة. الصَّلاحُ القَليلُ عندَ الخطأة لا ينال مكافأةً، بَلْ عِقاباً مُختَلفًا. هذا ما يَحصَلُ مَعَ القدّيسين: الشَّرُّ القَليلُ الّذي فيهِم لا يُوجِبُ مُعاقَبَتَهُم، ولكنَّهُم يَحصَلونَ على سَعادةٍ مُختَلِفَةٍ أو سرورٍ مُختَلف. لذلكَ، كَما أَنَّ هنالكَ إختلافاً بالفَرَحِ والسَّعادَةِ عندَ الصَّالحينَ، كذلكَ يوجَدُ اختلافٌ بالعِقابِ بالنِّسبَةِ للخَطأة.
كَنَتيجَةٍ للنِّقاطِ السَّابِقَةِ نقولُ إنَّ رؤيةَ اللهِ هي واحِدَةٌ بالنِّسبَةِ لِكُلِّ البَشَرِ، لكنّ هذه الرُّؤيَةَ ترتَبِطُ بِعُمقِ الطهارَةِ واختلافِها عندَ النّاس. في عِظَةِ القدّيسِ غريغوريوسَ اللاهوتيّ في الفصحِ يُوضِحُ وَبِكُلِّ جَلاءٍ أَنْ لا تَطهيرَ "في هذا اللَّيل". وهذا يعني أَنْ لا مطهرَ بَعدَ هذه الحياة، الَّتي تُشبِهُ الليل، لا سيَّما أَنَّ مِنَ المُستَحيلِ لروحٍ غَير مُتَجَسِّمَةٍ، بَعدَ افتراقِها عَنِ الجَسَد، أَنْ تُعاقَبَ جِسمانيًّا بنارٍ.

إنَّ عَقيدَةَ المَطهَرِ لا بُدّ أن تُلغى، لأنّها تَقُودُ الإنسانَ إلى اللامبالاة وإلى عَدَمِ الجهادِ في هذه الحياةِ لِيَتَطَهَّرَ، بانتظارِ التَّطَهُّرِ المُستَقبَليّ، تماماً كما أَنَّ عَقيدَةَ "استعادَةِ الكُلِّ" قد أُبطِلَت، لأنَّ لها نَفسَ المَفاعيل.
في كُلٍّ مِنَ الكتابِ المُقَدَّسِ وَالتَّقليدِ الكَنَسيّ نَجِدُ أَنَّ النَّظْرَةَ إلى اللهِ تَختَلِفُ مِنْ شَخْصٍ إلى آخَرَ في هذه الحياة. وَكُلَّما ازْدادَ المَرْءُ اسْتِنارَةً وَطَهارَةً، عايَنَ مَجْدَ اللهِ بِشَكْلٍ أَكْثَرَ كَمالاً. وَإذا كانَ لأحَدِهِم بَعض الخطايا القَليلَة "هوَ أَيضًا يرى اللهَ بدون أيّة نارٍ مطهِّرة". محبّةُ اللهِ تَكفي كُلَّ البَشَرِيَّةِ لكن بدَرَجاتٍ مُختلفَة. وإذا كان أَغلبُ النّاسِ سَيَمُرّونَ بالمَطهَرِ، فَهذا يَستَتبِعُ أَنَّ كُلَّ أَنفُسِ الصِّدّيقينَ سَيَكونُ عِندَهُم نَفسُ الرّؤيا للهِ، ويَنتَفي حينها مُقدارُ جِهاداتِهِم وأتعابِهِم، وهذا خَطأ؛ لأنَّ الرَّبَّ قالَ إنَّ في مَلكوتِ أبيه "مَنازِلَ كَثيرَة" (يو ١٤:٢).
إذا كان القَصدُ مِنَ العَذابِ في المطهرِ إرْضاءَ العَدلِ الإلهيّ، وَإيفاءَ الدُّيونِ التي على النَّفسِ، والخلاصَ مِنَ العقابِ والقَصاصِ الإلهيّ، يكونُ الهدفُ هو التكفير وليسَ التطهير. بهذه الحالة لا يَنطبِق إسمُ المطهَرِ على الواقعِ بَل تُسمّى حينَها " كَفّارة"[١٥٥].

وَرَدَ في مجمع ترانت (جلسة ١٤، فصل ٨): "التائب يتكبَّد تلك القصاصات، لكي يفي عَدلَ اللهِ الَّذي أهانَهُ بخطاياه"[١٥٦]. هذا الكَلامُ يَحمِلُ تَشويهًا كبيرًا لمفهوم عمل المسيح التَّكفيريّ ولسرِّ التَّوبَةِ والإعتراف.
يُجيبُ البابا شنودا الثالث أيضًا على ذلك بقوله: "إنَّ مَحَبَّةَ اللهِ التي جَعَلَتهُ يَبذلُ ابنَهُ الوحيدَ مِنْ أجل خلاصنا، هل مَحَبَّته هذه تَسمَحُ بِعَذاباتٍ مَطهَرِيَّةٍ من أجل خطايا عَرَضِيَّة، أو بِسَبَبِ (خطايا مُميتَة) قد تاب إنسانٌ عَنها، وغُفِرَت له؟ فَأينَ الرَّحمة هنا؟! تقول ((هنا العَدل)). أقولُ لكَ: لا تُتعِب ضَميرَكَ مِنْ جِهَةِ العَدل، فقد استوفى حَقَّهُ بالفِداءِ على الصَّليب... وُعُودُ اللهِ أَمينةٌ لا رَجعَةَ فيها. فإنْ تابَ إنسانٌ وغَفَرَ له اللهُ، لا يَعودُ يُعَيِّرُهُ بخطاياهُ، أو يُعاقِبُهُ عليها، أو يقولُ له باقٍ عليكَ حسابٌ عليكَ أنْ توفيه. بَل يقولُ ((لا يَحسب له الرَّبُّ خَطيَّة)) (مز ٣٢:٢). والذي غَسَلَهُ اللهُ مِن خطاياهُ ، هذا لَم تَعُد عليهِ خطيَّة بعد ، بل صار أبيض مِن الثَّلج (مز ٥٠)... اطمئنّوا، العدل

---

[155] البابا شنودة الثالث ،المرجع السابق، صفحة ٧٥.

[156] لدى البابا شنودة الثالث ،المرجع نفسه، صفحة ١١.

الإلهيُّ قد وفى حَقّه على الصَّليب... وما دامَ الإنسان قد تابَ، تنتَقل خطاياهُ إلى حساب المسيحِ (رافع خطيئة العالم)، فيمحوها بدَمه، ولا تبقى عليه دينونَةٌ بعد"[١٥٧]. إنَّ توبَةَ الإنسان واعترافَهُ بما اقترفَ مِنْ ذنوبٍ وخطايا يَجعَلُ فَرَحًا في السَّماءِ "أقولُ لَكُم إنَّهُ هكذا يكونُ فَرَحٌ عندَ ملائكة الله بخاطئٍ واحدٍ يتوب" (لو ١٥:١٠)، واللهُ نَفسُهُ يُسَرُّ لأنَّ الخروفَ الضّالَ قد وُجِدَ؛ درهمُ اللهُ الضائع قد وُجِدَ[١٥٨]. يقول القدّيس أفرام السّرياني إنَّ هذا ما حصلَ مع لِصِّ اليمين (التائب) الذي يَئسَ من كُلِّ شيءٍ فعضدَهُ الرَّبُّ وطَهَّرَهُ وأسكَنَهُ في الفردوس[١٥٩]: "الحقَّ أقولُ لكَ إنَّك اليوم تكون معي في الفردوس" (لو ٢٣:٤٣).

بالنِّهايَة لا نُصوصُ الكتابِ المقَدَّسِ ولا تَعاليمُ الآباءِ القدّيسينَ تَحَدَّثَت عن المَطهَر، وإنَّما عن الأسى عندَ هؤلاءِ الَّذينَ رَقَدوا وَهُم في حالَةٍ روحيَّةٍ مُتَوَسِّطَة، وعَن عَذابِ الضَّميرِ والتّأنيبِ والخَوفِ منَ المُستَقبَلِ في مواجَهَةِ اللهِ لِما فَعلوهُ. ولم يَتَحَدَّث أَيٌّ منهُم عَنِ النّارِ والعِقابِ الجسَديّ والمَطهَرِ للأرواحِ غَيرِ المُتَجَسِّمَة.

❖ دَلالاتٌ على وجودِ الحَياةِ بَعدَ المَوت :

أ – القيامَةُ مِنْ بَينِ الأموات.

نَحنُ كَمؤمنينَ لا نَنتَظِرُ عودةَ أحدِ الرّاقدين مِنْ بَينِ الأموات، أو خَبَرًا عَمَّنْ رَحَلَ وعادَ منَ الموت، لِنؤمنَ بأَنَّ الحَياةَ بَعدَ الموتِ هي أمرٌ واقعٌ. نَحنُ عندَنا الكتابُ المقدَّسُ وحَياةُ الأنبياءِ والرُّسُلِ والقدِّيسينَ. عندنا كتاباتُهم وتَعاليمُهُم ، كَما عندَنا رُفاتُهُم، ونَحنُ نؤمنُ أنَّهم يَحيَونَ مُنذُ الآنَ الحَياةَ الأبديَّةَ[١٦٠].

ومَع ذلك، نُوردُ أَدِلَّةً من الكتابِ المُقَدَّسِ ومنَ الآباءِ القدّيسين، لإزالَةِ غُبارِ الشَّكِّ، نُثبتُ فيها أَنَّ سيادَةَ الموتِ قد بَطَلَت، وأَضحى هذا الأخيرُ، كما يقولُ القدّيسُ يوحنّا الذهبيّ الفم، رَحيلاً إلى الميناءِ وعُبوراً مِنْ وَطَنٍ إلى آخر[١٦١]، فالرَّبَّ هو سَيِّدٌ على الموتِ وعلى الحياة.

الكتابُ المُقَدَّسُ يَذكُرُ أمثلةً عن أشخاصٍ ماتوا ثُمَّ عادوا إلى الحياة[١٦٢]، ممَّن أَقامَهُم المَسيحُ لَهُ المجدُ مِنْ بَينِ الأموات، وهم كَثيرون "العُمي يَبصرونَ والعُرجُ يَمشونَ والبُرصُ يُطَهَّرونَ والصُّمُّ يَسمعونَ والموتى يقومونَ والمساكينُ يُبَشَّرونَ" (مت ١١:٥). ولعَلَّ أبرز مَنْ ذَكَرَهُم الإنجيلُ ثلاثَة هُم:

١– إبنة يائيروس "فيما هو يُكَلِّمُهم إذا رئيسٌ قد جاء فَسَجَدَ لهُ قائلاً إنَّ ابنتي الآنَ قد ماتَت. لكن تعالَ وَضَعْ يَدَكَ عليها فتَحيا... ولّما جاء يَسوعُ إلى بيتِ الرَّئيسِ ونَظَرَ المُزَمِّرينَ والجَمعُ يَضجّونَ، قال لهم تَنَحَّوا فإنَّ الصَّبيَّةَ لم تَمُتْ لكنَّها نائمَةٌ. فضَحِكوا عليه. فلمّا أُخرِجَ الجَمعُ دَخَلَ وأمسَكَ بيدِها. فقامت الصَّبيَّةُ. فَخَرَجَ ذلك الخَبَرُ إلى تلكَ الأرضِ كُلِّها" (مت ٩:١٨–٢٦).

---

[157] المرجع نفسه ، صفحة ٤٢–٤٣و٦٢.

[158] أليكسييف، سيرافيم: الدواء المَنسيّ (سرّ التوبة والإعتراف)، ترجمة الأرشمندريت سيرافيم كركور، صفحة ٧٩.

[159] السرياني ، أفرام : مقالات روحيّة وخشوعيّة ، تعريب الأب افرام كيرياكوس، صفحة ٥٨.

[160] Hierotheos, Metrop. of Nafpaktos : The Parable of the rich man & Lazarus about LIFE After Death, p.p 10.

[161] ملطي، القمص تادرس يعقوب : المرجع السابق، صفحة ٣١٧.

[162] مودي، د. ريموند أ. : المرجع السابق صفحة ٤.

٢- إبن أرملة ناين "في اليومِ التالي ذَهَبَ إلى مَدينة تُدعى ناين وذهَبَ مَعَهُ كَثيرونَ مِنْ تلاميذِه وجَمعٌ كثيرٌ، فَلمّا اقتَرَبَ إلى بابِ المَدينَة إذا ميتٌ محمولٌ ابنٌ وَحيدٌ لأمِّه وهي أرمَلَةٌ ومَعها جمعٌ كثيرٌ منَ المدينَة، فَلَمّا رآها الرَّبُّ تَحَنَّنَ عليها وقالَ لها لا تبكي، ثُمَّ تَقَدَّمَ ولَمَسَ النَّعشَ فوَقَفَ الحاملونَ. فقالَ أيـُّها الشَّابُ لك أقولُ قُمْ. فجَلَسَ الميْتُ وابتدأ يَتَكَلَّمُ فدَفَعَهُ إلى أُمِّه" (لو ٧:١١-١٥).

٣- لعازر صَديق المسيحِ "قالَ لهم (يسوعُ) لعازر حَبيبُنا قد نامَ، لكنّي ذاهبٌ لأُوقِظَهُ. فقال تلاميذُهُ يا سَيِّدُ إن كان نامَ فهوَ يَشفى. وكانَ يسوعُ يقولُ عَنْ موتِه، وهم ظَنُّوا أنَّه يقولُ عن رُقادِ النَّومِ. فقالَ لهم يسوعُ حينئذٍ علانيَةً لعازرُ مات... فلمّا أتى يسوعُ وَجَدَ أنَّهُ قد صارَ لهُ أربعةُ أيّامٍ في القبرِ... قالَ يسوعُ ارفعوا الحجَرَ (عن القبرِ) قالت لهُ مرثا أُختُ المَيْتِ يا سَيِّدُ قد أنتَنَ لأنَّ لهُ أربعةَ أيامٍ، فقالَ لها يسوعُ أَلَمْ أقُل لكِ إنْ آمنتِ تَرينَ مجدَ اللهِ... صَرَخَ بصوتٍ عظيمٍ لعازَر هَلُمَّ خارجاً. فَخَرَجَ المَيْتُ ويَداهُ ورِجلاهُ مربوطاتٌ بأقمطَةٍ وَوَجهُهُ مَلفوفٌ بمنديلٍ. فقالَ لهم يسوعُ حلُّوهُ ودَعوهُ يَذهَب" (يو ١١:١-٤٤).

كذلكَ روى سفر أعمالِ الرُّسُلِ أنَّ امرأةً اسمها "طابيثا" ماتت فغسلوها، وجاء القدّيسُ بطرس، وصلّى عليها، فعادَت إلى الحياة (أع ٩:٣٦-٤٢). والرَّسولُ القدّيسُ بولُس أقامَ شابًّا اسمُه أفتيخوس من الموتِ بعدَ وقوعِه منَ الطاقة، منَ الطبقة الثالثة إلى أسفَل (أع ٢٠:٧-١٢). سُلطَةُ الرُّسُلِ على الموتِ هذه، عطيَّةٌ منَ السَّيدِ الذي قالَ لَهُم "وفيما انتُم ذاهبونَ اكرِزوا قائلينَ إنَّهُ قد اقتَرَبَ ملكوتُ السموات. اشفوا المَرضى، طَهِّروا بُرصاً، أقيموا موتى، أخرجوا شياطين. مَجّانًا أخَذتُم مجّانًا أعطُوا" (مت ١٠:٥-٨).

السُّلطَةُ على الموت، المُعطاة منَ السَّيِّدِ مُعطي الحياةِ للرُّسُلِ، ليسَت آنيّةً إنَّما أبديّة، بما أنَّ المَسيحَ الذي يحيا فيهم هو قالَ "ها أنا معكُم كُلَّ الأيامِ إلى انقضاءِ الدَّهرِ (مت ٢٨:٢٠) لذا فقد غَلَبَ الرُّسُلُ الموتَ بسبب اتِّحادهم بالمسيحِ مُعطي الحياة. وكذلك يحصل للمؤمنين الذين يَحيَونَ في جسدِ المسيحِ والمُتَّحدينَ به؛ لأنَّ الإتِّحادَ مَعَ اللهِ في الرُّوحِ القُدُس[١٦٣] يُوصِلُ إلى القيامة، كما يقول الرَّسول بولس: "كما أُقيمَ المَسيحُ منَ الأمواتِ هكذا نَسلُكُ نحن أيضاً" (رو ٦:٤).

البُرهانُ القاطعُ للمسيحيّ على وُجُودِ الحَياةِ بَعدَ المَوت هو إيمانُه، ثِقَتهُ بأنَّهُ "محبوبٌ منَ اللهِ"، وبأَنَّ "المسيحَ قد قامَ مِنْ بَينِ الأمواتِ ووَطِئَ المَوتَ بالموتِ وَوَهَبَ الحياةَ للذينَ في القبورِ"، وبمَوتِ المسيحِ على الصليبِ وقيامَتِه أَظهَرَ قُدرَتَهُ وغَلَبَتَهُ على الموتِ إذ أنَّ " حجاب الهيكَلِ قد انشَقَّ إلى إثنينِ مِنْ فوق إلى أسفَلٍ، والأرضُ تَزَلزَلَت والصُّخورُ تَشَقَّقت، والقبور تَفَتَّحَت وقامَ كَثيرٌ مِنْ أجسـادِ القدّيسينَ الرّاقدينَ وخَرَجوا منَ القبورِ بَعدَ قيامَتِه ودَخَلوا المَدينَةَ المُقدَّسَةَ وظَهَروا لكَثيرين" (مت ٢٧:٥١-٥٣)، وفُتِحَ البابُ الذي كانَ يَفصِلُ بَينَ العالمِ الحاضرِ والعالَمِ الآخر[١٦٤]. والمقولَةُ بأنَّ الذينَ أقيموا قبلاً عادوا ورقدوا ثانيةً بالجَسد، أَيْ أَنَّ كُلَّ مَنْ يحيا بعدَ الموتِ سيعودُ للموتِ مِنْ جديد، تَبطُلُ مع المسيحِ الذي قال :" أنا... الحَيّ وكنتُ ميْتًا، وها أنا حَيٌّ إلى أبدِ الآبدين" (رؤ ١:١٧-١٨) لذا نحنُ نَعْلَمُ يَقينًا، "أنَّ المسيحَ بعد ما أُقيمَ مِنْ بَينِ الأموات لا يَموتُ أيضاً، لا يَسودُ عليه الموتُ

---

[163] الآثوسي ، الأرشمندريت جاورجيوس :المرجع السابق، صفحة ٣٠.

الإتحاد بالله في الروح القدس أو التألُّه يحصل في الكنيسة بالأسرار، التي فيها يستطيع المرء أنْ يكونَ عُضواً في جسدِ المَسيحِ وأنْ يأكل جسدَ المسيحِ ودَمَهُ. راجع : فلاخوس، المتروبوليت ايروثيوس : المرجع السابق، صفحة ٥٥.

[164] المسكين، الأب متّى : القيامَة والصعود، صفحة ٢٠.

مِنْ بعد"(رو٦:٩). وَمِنْ هذا المُنطَلَقِ "إنْ كانَ المسيحُ يُكرَزُ به أنَّهُ قامَ مِنَ الأموات فكيفَ يقولُ قومٌ بينَكُم أنَّ ليسَ قيامة أموات. فإنْ لم تَكُن قيامَةُ أمواتٍ فلا يَكونُ المسيحُ قد قامَ، وإن لَم يَكُن المسيحُ قد قامَ فباطِلَةٌ كِرازَتُنا وباطِلٌ أيضاً إيمانُكُم... وإنْ كانَ لنا في هذهِ الحياةِ فقط رَجاءٌ في المسيحِ فإنّنا أشقى جميعِ النّاس" (١كو ١٥:١٢-١٩).

الكنيسةُ تُعبِّرُ من خلالِ خدمَةِ الجنّاز عمّا قالَه الرسول بولس بيقينٍ أنْ "لا موتٌ ولا حياةٌ ولا ملائكةٌ ولا رؤساءٌ ولا قوّاتٌ ولا أمورٌ حاضِرَةٌ ولا مُستَقبَلة، ولا علوّ ولا عُمقٌ ولا خَليقَةٌ أخرى تقدر أَنْ تَفصلنا عن مَحَبَّةِ الله التي في المسيحِ رَبِّنا" (رو ٨:٣٥-٣٩)، بحيث تهتَمّ بنظافة جسَدِ الراقد، وتُلبسهُ أفضلَ ثيابه وتُوَجِّهُ رأسَهُ نحوَ الشَّرقِ وترسُم بذراعيهِ شكلَ صليبٍ واضعةً بين يَدَيه أيقونَةَ الرَّبِّ يسوع، وتقولُ مخاطبةً نفسَهُ وهي تسكب الزَّيتَ على جسَدِه "إرجعي يا نفسُ إلى راحَتِك لأنَّ الرَّبَّ قد أحسَنَ إليك". هذه الأجواء لا تُوحي بالنِّهاية، إلاّ أنَّ المؤمنَ المسيحيّ لا يرى بالموتِ سوى ربحاً ومعبَراً للتّلاقي، للمَعيَّة، مع العروس، المحبوب الأوّل والأخير، غالبِ الموتِ "الرَّبّ يسوع" ليُقَدِّمَ له المَجدَ والتَسبيحَ والإكرامَ على مِثالِ الملائكةِ القدّيسينَ المُلتَفّين حولَ العرش الإلهي[١٦٥].

ب- الظهورات (في الكِتابِ المُقَدَّسِ وفي التَّقليدِ).

ظهورات البَشرِ بعد مماتهم خَيرُ دَليلٍ على بُطلانِ المُعتَقدِ الشائعِ بَينَ النّاسِ بأنَّ الحياةَ تَنتَهي ساعةَ الموت. الكتابُ المُقَدَّسُ يؤكِّد أنَّ "اللهَ هو إلهُ إبراهيمَ وإلهُ اسحقَ وإلهُ يَعقوبَ وهو ليسَ إلهَ أمواتٍ بَلْ إلهُ أحياءٍ لأنَّ الجميعَ عنده أحياءٌ" (لو ٢٠:٣٧-٣٨)، وأنَّ القدّيسينَ الأبرار الرّاقدينَ هم في شَركةٍ مُستَمرّةٍ مع الكنيسةِ المُجاهدَةِ التي على الأرض[١٦٦] "بَلْ قد أَتَيتُم إلى جَبَلِ صهيَونَ وإلى مَدينَةِ اللهِ الحَيّ أورشَليم السَّماويَّةِ وإلى رَبواتِ هم مَحفَلُ ملائكَةٍ وكَنيسةُ أَبكارٍ مكتوبينَ في السَّمواتِ وإلى اللهِ ديّانِ الجميعِ وإلى أرواحِ أبرارٍ مُكَمّلين وإلى وسيطِ العَهدِ الجَديدِ يسوع وإلى دمِ رشٍّ يَتَكَلَّمُ أفضلَ من هابيل" (عب ١٢:٢٢-٢٤).

من بعض النصوص الكتابيّة والآبائية التي تتحدَّث عن ظهورِ الراقدين بعدَ موتهم أوِ اتّصالهم بالبَشَر:

عندما كان شاول يُحاربُ الفلسطينيّينَ "خاف واضطربَ قَلبُهُ جدّاً، فسألَ شاول من الرَّبِّ، فَلَمْ يُجبهُ الرَّبُّ لا بالأحلامِ ولا بالكَهَنَةِ ولا بالأنبياء" (١صم ٢٨:٥-٦). هنا يَلجأ شاول إلى وَسيطَةٍ روحانيَّةٍ لتَحضيرِ روحِ صَموئيل فيَحدُثُ هذا، وَيَتَحادَث صموئيل مع شاول.

النبي ايليّا بعد إصعادهِ بعدَّة سنواتٍ أرسلَ كتابةً إلى يهورام ابن يهوشافاط ملك يَهوذا، يوَبّخهُ فيها على آثامه وتَعَدّياته، ويُنذرُهُ بضَرَباتٍ شَديدَةٍ ونهايَةٍ مُريعة (٢ أي ٢١:١٢-١٦).

ظهور النَبيَّين موسى وإيليا بمجدٍ، عند تَجلّي الرَّبّ يسوع، وتَكلُّمُهما عن خروجه الذي كان عتيداً أنْ يُكمِلَهُ في أورشليم (لو ٩:٣١).

---

[165] ثَمَّةَ طقوسٍ نرى فيها إنَّ رأسَ الرّاقدِ يُلَفُّ بأيقونةِ الشَّفاعةِ مع كتابة التريصاجيون " قدوسٌ الله."راجع : بيطار، الأرشمندريت توما: وهب الأعضاء (قراءةٌ في ضوء الواقع والتراث) ،صفحة ١٧.

[166] عطيّة، الأب د. جورج : مناظرة عَلَنيّة مع المُتَجَدِّدين (المعمدانيين)، صفحة ٨٢.

الرَّبُّ يسوعُ نَفسُهُ ظَهَرَ لتلاميذِه "الذينَ أراهُم نَفسَهُ حَيًّا ببراهينَ كَثيرَةٍ بَعدَما تَألَّمَ وهو يَظهَرُ لَهُم أربعينَ يَومًا وَيَتَكَلَّمُ عن الأمورِ المُختَصَّةِ بِمَلَكوتِ الله (أع ١:٣). يُعَلِّق القدّيسُ يوحنّا الذَّهبيُّ الفَمِ على ذلك ويقول: "لم يَكُن ظهورُهُ بعد القيامَةِ كما كانَ قَبلَها حين كان عائشًا مَعَهم على الدَّوام، بَلْ كان يَظهَرُ لهم بعد القيامَةِ مِنْ حينٍ إلى آخر خلال الأربعين يومًا[١٦٧]... لذلك بَقيَ أربعينَ يومًا يُعطي فُرصَةً للتلاميذ لكي يتأكّدوا مِنْ حضورِهِ حَيًّا لا خَيالاً"[١٦٨].

يكتب القديس غريغوريوس اللاهوتي أنّ القديس باسيليوس الكبير بعد موته ظهر له مِراراً ووبّخه[١٦٩].

القدّيس فيلاريتوس مطران موسكو يقولُ إنَّ الظهورات مِنْ عالمِ الأمواتِ غيرُ مُفَسَّرَة، ولكنَّها لا تُنكَر. وهو نَفسُهُ لَمْ يَرتَبْ في الحادثِ الذي جَرى له عندما أخبَرَه والدُهُ المَيْت عن يومِ رُقادِهِ وكيفَ استَعَدَّ القدّيس فيلاريتوس للإنتقالِ لعالَمِ ما وَراء القَبرِ[١٧٠].

من سيرةِ الأب تيخون الرّوسيّ (١٨٨٤– ١٩٦٨)، لأبينا الشَّيخ باييسيوس الآثوسي، نقتطفُ ما يلي:
"... في أيامِهِ الأخيرَةِ خَرجتُ لأحضِرَ له قليلاً مِن الماءِ، وبَعدَ أنْ فَتَحتُ البابَ وَدَخَلتُ كان يَنظُرُ إليَّ بِغرابَةٍ وقالَ لي:

- أأنتَ القدّيس سرجيوس؟
- لا يا أبي أنا باييسيوس.
- الآن يا بُنيَّ كانت هنا السَّيِّدة والقدّيس سيرافيم والقدّيس سرجيوس، أينَ ذَهبوا؟

فَهِمتُ عندئذ أنَّ شيئًا ما يَحدثُ لهُ فسألتُهُ: ماذا قالتْ لكَ السَّيِّدة؟ فأجاب: سَيَمُرُّ العيدُ وبعدها تأخُذني... نحن يا بُنَيَّ سَتَدُومُ محبَّتُنا الثَّمينةُ إلى دهرِ الداهرين وسآتي كلّ سنة لأراك.
الزِّيارَةُ الأولى كانت مساءَ العاشرِ مِنْ أيلول بَعدَ مُنتَصَفِ الليل. بينما كُنتُ أُصَلّي، رأيت فجأةً الشَّيخ داخلَ القلاّية! إرتكضتُ والْتقطُّ قَدَميه وقَبَّلتَهُما بوَرَعٍ. لم أفهم كيفَ تَخَلَّصَ من يَدي وذَهبَ. رأيتُهُ يَدخُلُ الكنيسَةَ ثُمَّ اختفى. بالطَّبعِ يَضيعُ المَرءُ في مِثلِ تلكَ الأمورِ حينَ يَحدُثُ لهُ أمرٌ مُماثِل. حتّى إنّنا لا نستطيع أنْ نُفَسِّرَ هذه الأمور بالمَنطق، ولهذا السَّبب يُسَمّونها عجائب"[١٧١].

ومِنْ سيرَةِ الشَيخ يوسف الهدوئيّ الآثوسيّ نقتطفُ الآتي: "في الأيّامِ الأخيرَة، قَبْلَ رُقادِه، قالَ لأحَدِ إخوَتِنا الذي كان خارِجَ المَنسَكِ يوم الجنازَة "متى غادرتُ سوفَ أستفقدُكَ حيث تكون". وبالفعلِ، كما أخبَرَنا ذلك الأخُ، فيما بعدُ، في اليَومِ الأربعين لِوَفاتِه، بالضَّبطِ، زارَهُ الشَّيخُ في قَلاّيَتِه فامتَلأت الغُرفَةُ كُلّها مِن رائحَةِ الطِّيب.

---

[167] يذكُر سنكسار البنديكوستاري ليوم الأحد الجَديد خَمسُ ظهوراتٍ للرَّبِّ يسوع قبل ظهورات الأربعين يومًا .

[168] كلمات آبائيّة ، الجزء الرابع، رسائل الآحاد (الصوم الكبير والقيامة، صفحة ٥٩٥–٥٩٦.

[169] كلمات آبائية ، الجزء السادس ، صفحة ٨٣٠.

[170] أنطوني، رئيس دَير القدّيس بندلايمون الرّوسي الأثوني: المرجع السابق، صفحة ٨٨.

[171] الآثوسي، الأب باييسيوس : آباء مُعاصرون من الجبل المقدّس " آثوس" ،تعريب الأب أفرام كيرياكوس ،صفحة ٣١– ٣٥.

كذلكَ عاشت في تسالونيكي امرأةٌ مُسنَّةٌ تَقيَّةٌ كان الشَّيخُ يَعرِفُها جَيِّداً. هذه أخبَرتَنا أنَّهُ في الخامسَ عَشَرَ مِنْ آب، أَيّ اليوم الذي رَقَدَ فيهِ الشَّيخُ، جاء ليَراها، بصورةٍ مَنظورَة، حيثُ كانت تُقيم. فسألتهُ بدَهشَةٍ واستغرابٍ: " كيفَ جِئتَ إلى هُنا أيها الشَّيخ؟ هل حَدَثَ أنَّك رَقدت؟ فأجابَها: أجَلْ، وقد أتَيتُكِ مُوَدِّعاً"[١٧٢].

قدّيسون كُثُرٌ كانت لهم ظهوراتٌ وشفاءاتٌ وعَجائبُ كثيرةٌ لا تُعَدُّ ولا تُحصى: أبونا القدّيس البارّ نيل سورسكي (١٤٣٣ – ١٥٠٨) الّذي نَسَكَ في سورا والذي صنع معجزات كثيرة بعد رقادِه[١٧٣]، والأب داوود في دير غريغوريو الذي شارَكَ، بعد رُقادِه، شَمّاساً في خدمَةِ صلاة الغروب[١٧٤]، وغيرهم. وإذا جِئنا على ذكرِ ظهوراتِ أُمَّنا العذراء، والدة الإله الدائمة البتوليَّة والكُلِّيَةَ الطوبى، لا نَجد إنسانًا مسيحيًّا يُنكِرُ عليها تلكَ العطايا والنِّعَم والظهورات التي كانت وما تزال تُغدِقُها على البَشَرِ أجمَع وفي كُلِّ صَقعٍ ومَكان، بما أنَّها "أُمُّ الحياة".

ج – رُفاتُ(ذَخائرُ) القدّيسينَ :

في التُّراث المسيحيّ نُعرِّفُ عَن أَجسادِ القدّيسينَ الراقدين لا كجُثث بَلْ كرُفات، وتُعامَل معاملةً خاصّـــةً. وَجَسَدُ الرّاقدِ يُدفَن بتَوقيرٍ كأنَّه حبَّة حنطة لجسد القيامة الآتي، حسب تَعبيرِ الأب سرجيوس بولغاكوف[١٧٥].

الكنيسةَ ترى أَنَّ سُلطةَ الموتِ تبقى محدودةً تجاه نعمَةِ الله التي تحفظ أرواحَ وأجسادَ مَنْ أسلموا أنفُسَهم بالحُبِّ لنِعمَةِ اللهِ ولروحِهِ القُدُّس.

إنَّ جَسَدَ المؤمنِ ، الذي كان يَحيا بمَعيَّةِ المسيحِ على الأرض، لا يَتَحوَّل، متى رَقَدَ، إلى جثّة بَلْ يَستَمرُّ هَيكلاً لله. وإن تَمَّ الإنفصالُ بَينَ الجَسَدِ والرّوحِ في الموتِ إلاّ أَنَّ روحَ اللهِ يَبقى مُلازِماً للجَسَد لأنَّ جَسَدَ المؤمنِ لا يَحوي فَقَط نَفْسَهُ أو روحَهُ ولكنَّه هو أيضاً هيكَلٌ للروح القدس (١كو ٦:١٩). وَمِنَ الخطأ التَّصَوُّرُ أنَّ الموتَ يُتلِفُ الجَســـدَ كاملاً وبأنَّ رباطَ الأجســـادِ بالنُّفوسِ يَنْقَطِعُ، بالموتِ، إلى الأبَد.

جَســـدُ الإنســـان ليس صُندوقاً حياديًّا (Neutra) يَحتَوي على قِطَعٍ لحميَّة او عظميَّة يُمكنُ استعمالُها كقِطَعِ غيارٍ. مَنْ كان كُلُّهُ، في حياتِه مُكَرَّساً لله يبقى كُلُّهُ، بعد الموت، مُكَرَّساً لله، و قُدرةُ اللهِ فاعلةٌ دائماً وقادرةٌ أن تُجريَ العجائبَ بالقدّيسينَ وبرُفاتِهم بالذّات، فَيَفوحُ منها الطِّيبُ أو العِطْرُ وقد تَنْضَحُ دَماً وماءً[١٧٦]...كما يَشاءُ اللهُ أَنْ يُمَجِّدَ، بَعدَ موتِهم، الَّذينَ مجَّدوه في حَياتِهم.

---

172 الآثوسي ، يوسف : سيرة ورسائل الشَّيخ يوسف الهدوئي الآثوسي، ترجمة الأرشمندريت توما (بيطار)، صفحة ٨٨ – ٨٩.

173 لمعرفة ظهوراته راجع: غروليموند ، الراهب فاسيليوس : القدّيس نيل سورسكي (سيرته ومؤلّفاته)، ، ترجمة الشَّمّاس سلوان موسى ، صفحة ٤٩ – ٥٦.

174 الآثوسي، الأب باييسيوس : المرجع السابق ، صفحة ١١٧.

175 بيطار الأرشمندريت توما : وهب الأعضاء (قراءة في ضوء الواقع والتراث) ، صفحة ١٧.

176 المرجع نفسه.

بهذا المعنى قالَ القدّيسُ باسيليوسُ الكبيرُ إنَّ " الرّوحَ القُدُسَ حاضِرٌ عِندَ الجَميعِ ولكِنَّهُ لا يُظْهِرُ قُوَّتَه إلاّ عِندَ الَّذينَ تطهَّروا مِنَ الأهواء"[١٧٧]؛ وأيضًا " مَنْ يَلمسُ عِظامَ الشَّهيدِ تَنتَقِل إليه نِعْمَةُ التَّقديسِ الموجودَةُ فيها"[١٧٨]، وهذا الجَسَدُ قد خَلَّصَهُ الرَّبُّ يَسوعُ كما يَقولُ القدّيسُ ايريناوسُ أسقُف ليون :"إذا لَمْ يُخلِّصِ المَسيحُ كُلَّ الجَسد فهو لَمْ يُخَلِّصِ الإنسانَ على الإطلاق"[١٧٩].

القدّيسُ غريغوريوسُ النّيصَصيّ في مَعرضِ مَديحِه للشَّهيدِ القدّيسِ ثيوذورس يَقول:

" ... مِنْ ثَمَّ كُلُّ مُحبٍّ للشَّهيدِ يُطَيّبُ وجهَهُ تائقاً إلى تَناوُلِ عُلبَةِ رُفاتِ القدّيسِ هذه، بما أنَّه يُؤمِنُ أَنَّ الدُّنوَّ إليها بإيمان ومُلامَستَها يَمنَحُ قَداسَةً وبَرَكَةً. فإذا أعطى أَحَدُهُم لمُحِبِّ الشَّهيدِ تُراباً مِنْ فَوقِ قَبرِ الشَّهيد، فإنّه يَتَقَبَّلُ ذلك التُّرابَ كَهَدِيَّةٍ ثَمينَة. فَيَحفَظُ تلك التُّربَةَ كَجَوهَرَةٍ مِنَ القدّيسِ جَزيلَةِ القيمَة. وإنْ أُعطيَ الإذنُ لمُحِبِّ الشَّهيدِ هذا أَنْ يَدنوَ مِنَ الرُّفاتِ المُقَدَّسَة، فَسَيَعتَبِرُ الأمرَ عَطِيَّةً كَبيرةً جدّاً .
هذا يعرفه الَّذينَ اختبروه. لأنَّ الَّذينَ يَنظرونَ إليه ويُقَبِّلونَهُ كَجَسَدٍ حَيٍّ ويَدنونَ إليه بكُلِّ حَواسِهِم، حينَئذٍ يَذرِفونَ دُموعَ التَّقوى لِكَي يَتَوسَّطَ القدّيسُ مِنْ أَجْلِهِم إلى اللهِ مِنْ حَيثُ مُقيمٌ هو الآن، لأنَّهم قادِرون أَنْ يَتلقَّوا المواهِبَ بِشَفاعَتِه.
مِنْ هذا كُلِّه عَلِمتُم أَنَّ مَوتَ الأبرارِ مُكَرَّمٌ جدّاً أَمامَ عَينَي اللهِ. الجَسَدُ العاديّ الذي يَموتُ كَكُلِّ النّاسِ يُرمَى كَشَيءٍ مَرذولٍ وكَأَمرٍ مَمقوت. أَمّا الآخرُ الذي يُزَيَّنُ ويُجَمَّلُ بآلامِ الإستِشهاد، فهو مَحبوبٌ ومَرغوبٌ بِهِ جدّاً كما سبق ووَصَفنا"[١٨٠].

وقَد أَوضَحَ القدّيسُ سِمعانُ اللاهوتيُّ الحَديثُ سَبَبَ إكرامِ ذَخائرِ القدّيسينَ بقَولِه :

"إنَّ النَّفسَ التي استَحَقَّتْ أَنْ تَصيرَ مُساهِمَةً بالنِّعمَةِ الإلهيَّة، بِسَبَبِ قَداسَتِها، لا بُدَّ أنْ تستَمِرَّ في تقديسِها الجَسَدَ كُلَّه. فهي التي تُحافِظُ على الجَسَدِ وتتواجَدُ في جميعِ أعضائه. لذلك تَسكُنُ نعمَةُ اللهِ في جَسَدِها، كما تَسكُنُ فيها.وما دامت النَّفسُ موجودةً في الجَسَد، فإنَّ الرّوحَ الكُلّيّ قُدسُهُ لا يَنقُلُ مَجدَه الكامِلَ إلى الجَسَد، لأنَّ إرادَةَ النَّفسِ يجب أَنْ تَستَمِرَّ في سَعيِها حتى الموت، أيْ أَنْ تَظهَرَ أنَّها تَحيا بنعمَةِ الرُّوحِ القُدُس. وعندما تَأتي ساعَةُ الرّقادِ وانفِصالِ النَّفسِ عن الجَسَد، تَتَوَقَّفُ المَعرَكَةُ، وتَنتَصِرُ النَّفسُ، وتَهجرُ الجَسَدَ وهي مُكَلَّلَةٌ بإكليلِ عَدَمِ الفَساد. وبانتِهاءِ جِهادِ النّفس، تَحُلُّ نعمَةُ الرّوحِ القُدسِ في الجَسَدِ الذي سَكَنَتْهُ النَّفسُ، وتُقدِّسُهُ بالكُلِّيَة.
ولذا، فإنَّ عِظامَ القدّيسينَ العارِيَةَ هي يَنبوعُ شِفاءٍ وإبلالٍ مِنْ كُلِّ مَرَض. عندما تنفَصِلُ النَّفسُ عن الجَسَدِ بالموت تصير وحيدةً أمامَ اللهِ (بدون الجسد)، وتُعطى النِّعمةَ الإلهيَّةَ فتتألَّهُ. ويصيرُ الجَسَدُ أيضاً وحيداً أمام الله، فَيُظهِرُ للناسِ الأفعالَ الإلهيَّةَ والمُعجِزات. فحينئذٍ لا يبقى الجسدُ عائقاً للنفسِ في عَمَلِها، لأنَّهُ منفَصِلٌ عنها، ولا النَّفسُ

---

177 مرقس، الأرشمندريت الياس : مقالات روحيّة ولاهوتيّة، صفحة ٢٣.
178 مَخّول، الشَّماس روفائيل: تكريم ذخائر القدّيسين ، صفحة ٩.
179 جماعة من المسيحيين الأرثوذكس في فرنسا : الله حيّ ، ترجمة د.دعد قنّاب عائدة، صفحة ٤٨٦.
180 كلمات آبائية، الجزء السادس ، صفحة ٥٤٠– ٥٤١.

عائقاً للجَسَد، فيَتَخَلَّصَ من الحاجات الجَسَديَّة كالجوع والظمأ وما شابه. وبما أنَّ الإثنين معاً قد أُعتقا من كُلِّ حاجَة وقَيد نابعَين من العلاقة بينهما، فإنَّ النِّعمَةَ الإلهيَّةَ تَفعَلُ في كُلٍّ منهما دون عائق، وكأنَّهما قد صارا كلاهُما في الله وحَلَّت فيهما الحياةُ الإلهيَّةُ، من جرّاء السّيرة الإلهيَّة التي اختبراها في هذا العالم عندما كانا معاً"[١٨١].

القدّيسُ يوحنّا الدّمشقيُّ يواجهُ رافضي رُفات القدّيسين، فيقولُ لهم: "لقد وهَبَنا السَّيّدُ المسيحُ رفاتَ القدّيسين ينابيعَ خلاصيّةً، تُنبعُ البَركات بطُرُقٍ شتّى، وتُفيضُ الطيبَ الذّكيَ الرّائحَة. ولا يَنكُرَنَّ أَحَدٌ ذلك! فإنَّ اللهَ لّما شاءَ أَنبَعَ ماءً في الصَّحراء من صَخرَة صَمَّاءَ يابسَة، وأَنبَعَ لشَمشونَ في عَطَشه ماءً منْ فَكِّ حمار، أفيكون مُنْكَراً أَنْ يُفيضَ الطِّيبَ الذَّكيَّ الرائحة منْ رُفات مَنْ نُغَبِّطُهم؟ إنَّه ليسَ مُنْكَراً البَتَّةَ لِمَنْ يعرفونَ قوَّةَ الله وَكَرامةَ القدّيسين لدَيه"[١٨٢].

الكتابُ المُقَدَّسُ والتُّراث المسيحيُّ يَذْخَران بما يُؤَكِّدُ فَعاليَّة ذخائر القدّيسين. وإنَّ عظامَ الأحياء في الله، والأشياءَ التي تَخُصُّهم، ليست بمرذولَة وَلا نَجسة، لا بَلْ هي تؤكِّدُ بالمقابل سُلْطانَ الله على الموت[١٨٣]:

- أليشع شَـــقَّ مياهَ نَهر الأردُنّ وعبَرَهُ بَعدَ أَنْ ضَرَبَ الماءَ برداء إيليا النَّبيّ الذي سَـــقَطَ عَنهُ وهو مَأخوذٌ إلى السَّماء (٢مل/ ٤مل ١٣: ٢١).
- رُفات النبي أليشع، جَسُدُه، عِظامُهُ، ما كادت تلمُسُ جَسَدَ الميْت حتى استَعادَ هذا الأخيُر الحياةَ وعاشَ وقامَ على قَدَمَيه (٤مل ١٣: ٢١). والقدّيسُ كيرللسُ الأورشَليميّ يقول، في تَعليقه على حادثَة النَّبيّ أَليشع: "لا نَكُن مُنكرينَ يا أبنائي، وكأنَّ ذلك لَمْ يَحدُث. لأنَّه إذا كانت "المآزرُ والمناديلُ" (أع ١٩: ١١-١٢) الّتي هي مِنْ خارجٍ، تَشفي المَرضى عندما تَلمسهم، فكم بالحَريِّ جَسَدُ النَّبيِّ نفسُه أَنْ يُقيمَ المائت"[١٨٤].
- القدّيسُ باسيليوسُ الكبير، في خطابه عن القدّيس مامانتوس يقول: "إنَّ العَجائبَ التي مَنَحَ بها القدّيسُ الشَّهيدُ العافـــيَةَ للبَعض والحَياةَ للبَعض الآخَر إنَّما هي مَشهورَةٌ لَدى الجَميع".
- القدّيسُ افرام السُّرياني يُلَخِّصُ بُطلانَ فَعالية الموت عندَ الشُّهداء فَيَقولُ: "وَبَعدَ الموت يَفعَلونَ وكأنَّهم أحياء، فَيَشفونَ المَرضى ويَطرُدونَ الشَّياطين، وبقُدرَة الرَّبِّ يُبعدونَ كُلَّ تأثير شرّير لأنَّ نعمَةَ الرّوح القُدُس التي تَعمَلُ المُعجزات إنَّما هي مُلازِمَةٌ أبَداً للذخائر المُقَدَّسَة".

---

181 آليفيزوبولوس، الأب أنطونيوس: المرجع السابق، صفحة ٢٨٠-٢٨١.

182 الدّمشقيَ، القدّيس يوحنّا : المرجع السابق، صفحة ٢٤٦.

183 نعيمة، جورج : شفاعة القدّيسين، صفحة ٢٦.

184 ذخائر القدّيس هي جلدَه، ثيابه،وكُل ما كان له صلة مع جسده.راجع:

-Patrinacos, Rev.D. Nicon:Dictionary of Greek Orthodoxy, p316.

-Chiouaro, F. : New Catholic Encyclopedia, Vol. 12, p.234-240.

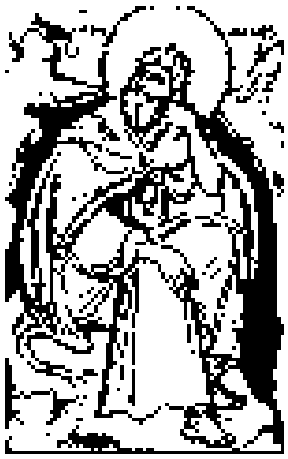

الخاتمَة :

البَحثُ في مَوضوعٍ كالحياة بَعدَ الموت مشابهٌ في الحقيقَة لِوَضعِ الجنينِ القابعِ في أحشاءِ أُمِّه يَلتَقطُ ما يَلتَقطُ مِنْ أصواتٍ أو أحاسيسَ تَصلُهُ مِنَ العالَمِ الآخرِ دونَ أنْ يَسبُرَ غورها أو يُدركَ كُنهها بوضوح، وفي الوقتِ ذاته دونَ أنْ يُنكِرَ أنَّ ما وراءَ الأحشاءِ والحياةِ الجنينيّةِ المحدودَةِ حياةً أخرى تَشُدُّكَ لمعرفتِها وخاصةً لأنَّ فيها معنى الوجود.

معَ كُلِّ ما نقرأ مِنْ نصوصٍ متعلِّقةٍ بالحياةِ ما وراءَ القَبر، تَجدُ نفسَكَ كَمَنْ يَسبَحُ في عالمٍ مِنَ الخيالِ فيهِ ما يُرعبُ وفيهِ ما يُفرحُ ويبقى السؤالُ مطروحاً.

الكنيسَةُ تُذَكِّرُ أبناءَها دائمًا بأنَّ خبرَةَ الموتِ هيَ خبرةٌ شخصيَةٌ تكونُ عندَ البَعضِ حالةَ ارتباكٍ واضطرابٍ وتساؤل: "أيُّها الإخوةُ ما أَمَرَّ أقوالَ المائتينَ التي يَلفظونَها حينَ يَلفظونَ نَفَسَهُم الأخير. فإنَّ كُلاًّ منهُم يَقولُ هأنذا أنفَصِلُ عَنِ الإخوَةِ وأترُكُ الأصدقاءَ جَميعًا وأَذهَبُ، لكن إلى أينَ أذهب؟ لَستُ أعلمُ! أو كيفَ سأكونُ هناكَ؟ لستُ أدري! اللهُ الَّذي دعاني هو يَدري. فاعمَلوا إذن تَذكاري دائمًا بتَسبحة :هللويا"[١٨٥]. أو تكونُ معرفةَ يقينٍ عندَ مَنْ أحَبَّ حتى النِّهايَة، بأنَّ المَعشوقَ هو المُبتغى، وأَنَّ المُجاهدَ يَشتهي أَنْ يَنحَلَّ وينطَلِقَ إليه، مُعتبراً أنَّ الموتَ مَعْبَرٌ إلى جمالاتِ الأَبَديَّة.

هذه الدراسَةُ، عَلى بَساطتِها، أتاحت لي شخصيًّا أنْ أتعرَّفَ إلى خبرةِ الآباء القدّيسينَ، وقادَتني إلى وَقفَةٍ مع الذَّاتِ وإلى تأمُّلٍ في الموت، كما زادَتني تَعَلّقاً بملاكيَ الحارسِ ، الذي مَنَحني إيّاهُ جابلي. فكثيرًا ما كانَ يُمسكُ بيَديَ المُسْتَرخيَةَ وَيَهْديني إلى الخلاص، فيما كُنْتُ أَنْجَذبُ بشِدَّةٍ في الاتِّجاهِ المُعاكس.

الكمالُ للهِ وَحْدَهُ. وهذا البَحثُ نُقطَةٌ في مُحيطٍ، وباقَةُ وردٍ من بستانٍ اقتطفتُ منهُ الشَّيءَ اليسيرَ –فالمرءُ يَضيعُ بالانتقاءِ والاختيار– وَرَجائي أَنْ أَكُونَ قد وُفقتُ في إيصالِ بعضٍ مِنَ اليَقينِ وَشَيْءٍ مِنَ الثِقَةِ باللهِ الذي وَهَبَنا الحياةَ بيسوعَ المسيحِ رَبِّنا، الَّذي هُوَ "الطَّريقُ وَالحَقُّ وَالحَياة". آمين.

كتب مختصر الأفخولوجي ، خدمة صلاة الجنّاز للكهنة ورؤساء الكهنة، صفحة ٣٥٤.

١. الكتاب المقدّس، نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

٢. الكتاب المقدّس، كُتُب الحكمة، دار المشرق، بيروت ،١٩٨٧.

٣. كتاب مختصر الأفخولوجي، ترجمه عن اليونانية سرجيوس اسقف سلفكية، دمشق ١٩٦٤.

٤. مختارات منْ أدب آباء الكنيسة، باسيليوس الكبير– سمعان اللاهوتي ، ترجَمة البطريركَ الياس الرّابع معوَّض، مطابع ألف باء – الأديب ، دمشق، ١٩٧٨.

٥. مختارات من القديس غريغوريوس اللاهوتي النزينزي، تعريب الأسقف استفانوس حداد، سلسلة آباء الكنيسة ، منشورات النور ، ١٩٩٤.

٦. كلمات آبائيّة، الجزء الثاني: الصوم الكبير والقيامة، دير مار ميخائيل ، منشورات النور ، ١٩٩٥.

٧. كلمات آبائيّة، الجزء الثالث: رسائل الآحاد بعد العنصرة، دير مار ميخائيل ، منشورات النور ، ٢٠٠٠.

٨. كلمات آبائيّة، الجزء الرابع: الصوم الكبير والقيامة، دير مار ميخائيل ، منشورات النور ، ٢٠٠٠.

٩. كلمات آبائيّة، الجزء السادس: أناجيل ورسائل الأعياد السّيّديّة والثابتة (شباط–آب)، دير مار ميخائيل بسكنتا، تعاونية النور الأرثوذكسيّة للنشر والتوزيع م.م. ، ٢٠٠٥.

١٠. ..... : ما وراء الموت، مطبعة الشَّرق الأوسط ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٥٩.

١١. ..... : معجم اللاهوت الكتابي ، مجموعة من المعَرِّبين، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦.

١٢. ..... : الدسقوليّة (تعاليم الرُّسُل)، ترجمة القمص مرقس داوود، مكتبة المحبّة، مصر،١٩٧٩.

١٣. الآثوسي، الأب باييسيوس، آباء معاصرون من الجبل المقدّس" آثوس"، تعريب الأب أفرام كيرياكوس ، دير مار ميخائيل، منشورات التراث الابائي، مطبعة اميون ،٢٠٠١.

١٤. الآثوسي، القديس نيقوديموس: نصائح أو إرشادات روحيّة في حفظ الحواس الخمس، ترجمة الأب مُنيف حمصي، طبعة اولى، ٢٠٠٤.

١٥. الآثوسي،الأرشمندريت جاورجيوس، غاية الحياة هي التأله، جبل آثوس، تعريب الأب منيف حمصي، الطبعة الأولى، (دونَ تاريخٍ أو دورِ نَشر).

١٦. الآثوسي، يوسف (الرئيس السابق لدير فاتوبيذي) : سيرة ورسائل الشيخ يوسف الهدوئي الآثوسي،تعريب الراهب الأرشمندريت توما بيطار، منشورات التراث الآبائي، دوما ، ٢٠٠١.

١٧. الأورشليمي، القدّيس كيرللس: العظات، أقدَم النُّصوص المسيحية، سلسلة النُّصوص الليتورجية، تعريب الأب جورج نصّور، رابطة معاهد اللاهوت في الشرق الأوسط، الكسليك، ١٩٨٢.

١٨. الدمشقي، القديس يوحنا: المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي ، سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم، تعريب الأرشمندريت أدريانوس شكّور ق ب ، منشورات المكتبة البولسية ، طبعة أولى، ١٩٨٤.

١٩. الذهبيّ الفم، القدّيس يوحنّا ، شرح إنجيل متّى، الجزء الأول، ترجمة د. عدنان طرابلسي، طبعة أولى، ١٩٩٦.

٢٠. السّرياني، القدّيس أفرام: مقالات روحيّة وخشوعيّة، تعريب الأب افرام كيرياكوس، منشورات التراث الآبائي، دير مار ميخائيل، ٢٠٠٤.

٢١. السُلّمي، يوحنّا: السلّم إلى الله، سلسلة آباء الكنيسة (٣) ، تعريب رهبنة دير مار جرجس الحرف، منشورات النور، بيروت ، ١٩٨٥ .

٢٢. السّوري، القدّيس أفرام : المزامير الرُّوحيّة، جمعها ونسّقها القديس ثيوفانس الحبيس الرّوسيّ، ترجمة د.عدنان طرابلسي، طبعة أولى، ٢٠٠٢.

٢٣. المسكين، الأب متّى: القديس أثناسيوس الرسولي : سيرته دفاعه عن الايمان ضد الآريوسيين، لاهوته، مطبعة دير الأنبا مقّار ، طبعة اولى، ١٩٨١.

٢٤. المسكين، الأب متّى: القيامة والصعود، مطبعة دير القديس أنبا مقّار – وادي النطرون، طبعة ثانية، ١٩٩٢.

٢٥. النيصصي، القدّيس غريغوريوس، العقيدة المسيحية وأسرار الإيمان، ترجمة واقتباس د. نبيل داود، طبعة أولى، ١٩٩٦.

٢٦. أليعازر، الأب الرّاهب في دير ستافروفونيو: حول خروج النفس والمحطات الجمركية التي تمرّ بها ،ترجمة الإيكونوموس إبراهيم دبور، تنقيح لويس برغوث،عمان ، ١٩٨٩.

٢٧. آليفيزوبولوس، الأب أنطونيوس: زاد الأرثوذكسيّة، ترجمة الأب قسطنطين يتّي، سلسلة تعرّف إلى كنيستك (١٨)، منشورات النور، ١٩٨٥.

٢٨. اليكسييف، سيرافيم: الدواء المَنسي (سرّ التوبة والإعتراف)، تعريب الأرشمندريت سيرافيم كركور، منشورات مطرانيّة بصرى حوران وجبل العرب والجولان للروم الأرثوذكس، ٢٠٠٤.

٢٩. أنطوني، رئيس دَير القدّيس بندلايمون الرّوسي الأثوني، القيِّم: أسرار أبديّة وراء القبر، ترجمة المطران أبيفانوس زائد، مطبعة دار غندور – بيروت، ١٩٧٧.

٣٠. باباتوماس، الأرشمندريت د.غريغوريوس : " إشكالية الخطيئة أو سقوط الإنسان في عصرنا"، حوليات معهد القدّيس يوحنا الدمشقي اللاهوتي، الحوليّة (٤-٥)، البلمند، العامان الدراسيان ٢٠٠١/٢٠٠٢- ٢٠٠٣/٢٠٠٣.

٣١. بريانشانينوف، القدّيس اغناطيوس: تقدمة إلى رهبنة معاصرة، ترجمة الأب منيف حمصي، لا دور نشر، لا تاريخ نشر.

٣٢. بريانتشانينوف، القديس إغناطيوس: في الموت ، ترجمة دير السيدة كفتون، نشر دير مار ميخائيل- نهر بسكنتا ، نشرة رقم ١٩ ، ٢٠٠٢.

٣٣. بندلي، كوستي: الله والشرّ والمصير، سلسلة الإنجيل على دروب العصر،منشورات النور،١٩٩٣.

٣٤. بندلي، كوستي: أمثال الملكوت، دراسات كتابيّة ١، منشورات النور، ١٩٨٣.

٣٥. بندلي، كوستي: كيف نفهم اليوم قصّة آدم وحواء؟ ، سلسلة الإنجيل على دروب العصر، منشورات النور، ١٩٩٠.

٣٦. بندلي، كوستي، و مجموعة من المؤلِّفين : مدخل إلى العقيدة المسيحية ، طبعة ثالثة معدَّلة ومُزادة، منشورات النور .

٣٧. بوبِّي ، جان: الله أبونا (الكشف عن الله الآب والصلاة الرّبِّية) ، ترجمة الأب بيوس عفّاص ، سلسلة دراسات في الكتاب المقدّس، دار المشرق، بيروت ، طبعة أولى ٢٠٠٠.

٣٨. بيطار، الأرشمندريت الراهب توما : سيَر القدّيسين وسائر الأعياد في الكنيسة الأرثوذكسيّة (السنكسار)، الجزء الخامس (حزيران – تموز) ، دير القدّيس سلوان الآثوسيّ – دوما ، ٢٠٠٥.

٣٩. بيطار، الأرشمندريت توما: وهب الأعضاء (قراءةٌ في ضوء الواقع والتراث)، أوراق ديريّة (٤)، منشورات عائلة الثالوث القدوس، ٢٠٠٣.

٤٠. جبّور، اسبيرو : سرّ التدبير الإلهي (التجسّد)، المنشورات الأرثوذكسيّة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠.

٤١. جبّور، اسبيرو : قانون يسوع والصلاة من أجل الموتى، منشورات مطرانيّة الرّوم الأرثوذكس، اللاذقيّة، ١٩٩٥.

٤٢. جماعة مِنَ المسيحيين الأرثوذكس في فرنسا: الله حيّ (التعليم المسيحي الأرثوذكسي للبالغين)، ترجمة د. دعد قنّاب عائدة، منشورات دير مار الياس شويّا البطريركي- ضهور الشوير-لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.

٤٣. خضر ، المطران جورج: الرؤية الأرثوذكسيّة لله والإنسان، سلسلة تعرّف إلى كنيستك، منشورات النور، ١٩٨٢.

٤٤. خوندروبولس، سوتوس : سيرة القدّيس نكتاريوس العجائبي أسقف المدن الخمس ، تعريب رهبنة دير الحرف، مطابع حبيب عيد ، طبعة أولى ١٩٩٩.

٤٥. دي ديتريخ، سوزان: القصد الإلهي، تعريب غبطة البطريرك إغناطيوس الرابع ورهبنة دير مار جرجس الحرف، منشورات النور، الطبعة الثانية ، (دون تاريخ نشر).

٤٦. سمرز، راي : الحياة العتيدة أو ما وراء القبر، تعريب القس يوسف قسطه ، (لا دور نشر)، ١٩٦٥.

٤٧. شربنتييه، الأب اسطفان: دليل إلى قراءة الكتاب المقدّس، ترجمة الأب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣.

٤٨. شنودة الثالث، قداسة البابا: لماذا نرفض المطهر؟ ، مطبعة الأنبا رويس الأوفست، العباسية، الطبعة الأولى، أكتوبر ١٩٨٨، القاهرة.

٤٩. شورون، جاك: الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف حسين، سلسلة عالم المعرفة – الكويت، نيسان ١٩٨٤.

٥٠. طرابلسي، د.عدنان: الرؤية الأرثوذكسيّة للإنسان(الأنثروبولوجيا الصوفيّة)، منشورات النور ، ١٩٨٩.

٥١. طرابلسي، د. عدنان : وسقط آدم (لاهوت الأقمصة الجلديّة)، مطبعة دكاش، لبنان، طبعة أولى ١٩٩٢.

٥٢. عبد الخالق، د. أحمد: قلق الموت ، محمّد سلسلة عالم المعرفة – الكويت ، آذار ١٩٨٧.

٥٣. عبدالله ، ثريّا جرجس : الملكوت والمجيء الثّاني في بدعة شهود يهوه ، رسالة لنيل إجازة في اللاهوت (لم تُنشَر)، إعداد ، إشراف الأب جورج عطيّة، البلمند ، ١٩٩٢.

٥٤. عطيّة، الأب د. جورج : الكون بين الأسطورة والعلم، صادر عن مطرانيّة بصرى حوران وجبل العرب والجولان للروم الأرثوذكس،مطابع ألف باء– الأديب، دمشق.
٥٥. عطيّة، الأب د. جورج : مناظرة علنيّة مع المتجدّدين (المعمدانيين)، تعاونية النور الأرثوذكسيّة للنشر والتوزيع م.م. ، بيروت ٢٠٠٢.
٥٦. غرولو، الأب بيار : من أنت أيها الإنسان ؟ ، سلسلة دراسات في الكتاب المقدّس، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦.
٥٧. غروليموند، الراهب فاسيليوس: القديس البار نيل سورسكي (سيرته ومؤلفاته)، تعريب الشمّاس سلوان موسى، منشورات دير سيدة البلمند البطريركي، طبعة أولى ، ١٩٩٩.
٥٨. غُورغ، الأب ميشيل : المزامير ويسوع يسوع والمزامير ، ترجمة الأب فيكتور شِلحُت اليسوعيّ، سلسلة دراسات في الكتاب المقدّس، دار المشرق ، بيروت ، طبعة أولى ١٩٩٤.
٥٩. فلاخوس، الميتروبوليت إيروثيوس: الفكر الكنسي الأرثوذكسيّ، تعريب الأب أنطوان ملكي، تعاونية النور الأرثوذكسيّة للنشر والتوزيع م.م. ، بيروت ٢٠٠٢.
٦٠. كلوز، فرانك: النّهاية (الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون)، ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي، سلسلة عالم المعرفة – الكويت، تشرين الثاني ١٩٩٤.
٦١. كولر ، جون: الفكر الشرقي القديم، ترجمة كامل يوسف حسين، سلسلة عالم المعرفة – الكويت، تموز ١٩٩٥.
٦٢. لوسكي، فلاديمير: بحث في اللاهوت الصوفي لكنيسة الشرق ، تعريب نقولا أبو مراد ، مراجعة رهبنة دير القديس جاورجيوس– دير الحرف، منشورات النور، بيروت، ٢٠٠٠.
٦٣. ماكوري ، جون: الوجودية ، ترجمة د. إمام عبد الفتّاح إمام، سلسلة عالم المعرفة – الكويت ، تشرين الأول ١٩٨٢.
٦٤. مجموعة من المؤلفين : سألتني فأجبتك ، تحرير د. عدنان أديب طرابلسي، مؤسسة دكاش للطباعة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.
٦٥. مَخّول، الشَّمّاس روفائيل: تكريم ذخائر القدّيسين، منشورات مطرانيّة الروم الأرثوذكس– اللاذقيّة، ١٩٩٢.
٦٦. مَخّول، خافيير ميغيل: البقايا (الذخائر) المقدَّسة، رسالة إجازة في اللاهوت(لم تُنشر)، إشراف الأب د. جورج عطيّة ، معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي – البلمند. ١٩٩١.
٦٧. مرشدور، ألان: الموت والحياة في الكتاب المقدّس، الأب ترجمة الأم ماري هنرييت غانم، سلسلة دراسات في الكتاب المقدّس، دار المشرق، بيروت ١٩٨٧.
٦٨. مرقس، الأرشمندريت الياس: مقالات روحيّة ولاهوتيّة، منشورات مطرانيّة الروم الأرثوذكس– اللاذقيّة، ١٩٩٥.

٦٩. ملطي، القمص تادرس يعقوب : الذهبي الفم، القديس يوحنا، كنيسة مار جرجس باسبورتنج، مصر، ١٩٨٠.

٧٠. مودي، د. ريموند أ. : الحياة بعد الموت، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، منشورات أسقفيّة الدراسات العُليا اللاهوتيّة والثقافة القبطيّة والبحث العِلمي، دار الجيل للطباعة، مصر، ١٩٨٥.

٧١. نصير، ميشال : أهميّة الصليب في رسالتَي القديس بولس إلى فيليبي وغلاطية، رسالة إجازة في اللاهوت(لم تُنشر)، إشراف الأستاذ اسكندر أبو شعر ، معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي – البلمند. ١٩٨٧.

٧٢. نعيمة، جورج طانيوس: شفاعةُ القدّيسين (بحثٌ عقائديٌّ مقارَن)، رسالة إجازة في اللاهوت(لم تُنشر)، إشراف الأب جورج عطيّة ، معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي – البلمند. ١٩٨٥.

٧٣. وير، تيموثي: الكنيسة الأرثوذكسيّة (ايمان وعقيدة)، سلسلة تعرّف إلى كنيستك، منشورات النور، ١٩٨٢.

٧٤. يازجي، (إعداد) الأسقف يوحنّا : كتاب خدمة الكاهن ، مؤسسة دكّاش للطباعة، طبعة أولى، ٢٠٠٠.

المراجع الأجنبيّة :

1. Buss, Rev. Peter M. : *Life After Death*, USA,2004.

2. **Chiouaro, F.: *New Catholic Encyclopedia*, Vol 12, " Relics", Mc Graw – Hill Book Company, Washington, 1967.**

3. Felix ,Rev.Richard: *After Death What ? Life After Death*. By O.S.B. 1942.

4. **Hierotheos, Metropolitan of Nafpaktos: The Parable of the rich man & Lazarus about LIFE After Death, Athens, 1993.**

5. Hierotheos, Metropolitan of Nafpaktos : *Life After Death* , The Purifying Fire, Athens, 1993.

6. Kornarake, Ioan: Patrictic Experiences of the Eleventh Hour, Thessaloniki, 1971.

7. **Mileant; , Bishop Alexander, *Life After Death* ,Translated by Nicolas Stoltz, Published by Holy Protection Russian Orthodox Church , Los Angeles, California, USA, 1999 .**

8. **Patrinacos Rev. Nicon. D.: *The Greek Orthodoxy Dictionary*, "Relics", Publishing Synthesis, LTD, New York, 1984.**

9. **Pratte, David E.: *Is There Life After Death ?* 1998.**

10. **Pratte, David.E.: *What about Resurrection, Judgment, Heaven and Hell?* the Bible Study Online Library, 1998.**

11. **Rose, Fr. Seraphim : *The Soul After Death*, Platina, CA: St. Herman of Alaska Brotherhood, 1995.**

12. **Sinai, John Of *: Klimax (The Ladder), Homiy 15 , On Chastity & Prudence 51*, ed. " Astir", Athens, 1979.**

13. **Theophylact, TheBlessed: *A Commentary on the last judgment,* Athens. 1998.**

14. **Vassiliadis, Nikolaos P.: *The Mystery of Death,* trans. Fr. Peter A. Chamberas (Athens: The Orthodox Brotherhood of Theologians, 1997).**